ملخص البحث :

بيان ما في كلام النبي(صلي الله عليه وسلم) من فصاحة القول؛ وإحكام الوضع؛ وجزالة التركيب؛ وتناسب الأجزاء في تأليف الكلمات؛ ووضوح الصلة بين اللفظ ومعناه ؛ وهو من جهة البيان تراه حسن المغزي بين الجملة؛ واضح التفصيل ؛ جيد الوصف؛ فضلا عن سمو المعني؛ والتصرف في كل طبقات الكلام؛ والمنهج المتبع في الدراسة هو المنهج التحليلي القائم علي التحليل والنقد ودراسة الجزئيات بدقة للوصول إلي الصورة الكلية للنص .

الكلمات المفتاحية :

الأعمال – النيات – بني –الإسلام – يجمع –خلقه .

Abstract:

This research paper aims at the explanation of the vocabularies of the Prophet (May God's Prayers and Peace be upon Him) in terms of eloquence, accuracy of position, loftiness of composition, proportionality of parts in the composition of words, andclarity of the connection between the word and its meaning. From the point of view of the statement, they are considered accurate in meaning inside the sentence; clear in the details; good in description;in addition to the sublimity of the meaning, and the disposition of all layers of speech. The approach followed in the study is the analytical method based on analysis, criticism, and meticulous study of the particles to reach the overall picture of the text.

Key Words:

Actions - intentions - compose - Islam - gather - his characteristics.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد

فقد فسّر أهل التأويل الحكمة المقترنة بالكتاب في القرآن الكريم بالسنة، وذلك كما في قوله تعالي(وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ) (البقرة:٢٣١) وقوله عز وجل(وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)(النساء: من الآية١١٣) وقوله سبحانه (وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ)(الأحزاب: من الآية٣٤) و قوله- جل شأنه-(يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)(الجمعة: من الآية٢) وغير ذلك من آيات اعتمد في تأويلها و تفسيرها العلماء علي القرائن و الأدلة الدالة علي أن المقصود بالحكمة السنة المشرفة لأن الله – عز وجل –رفع ذكر النبي –ﷺ–وقرن اسمه باسمه في الشهادة التي هي أصل الإيمان، وقرن سنته بكتابه فيما افترضه علينا، ومن ثم فهي أصل في الدين كالقرآن لا تختلف عنه البتة وجعلها – سبحانه – مفسرة لذلك الكتاب العظيم .

وسنة النبي –ﷺ–تتمثل فيما قاله–عليه السلام- أو فعله أو ما أقّر عليه أصحابه، وهي وحي من الله–ﷻ- وبيان عن وحي وأمر جعله الله إليه بما ألهمه من حكمته وخصه به من نبوته وفرض علي العباد إتباع نبيه فقال- سبحانه- (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (آل عمران:٣١) وقد حفظ الله كتابه العزيز فقال (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر:٩) وقيض الله –ﷻ- لسنة نبيه رجالاً يحفظونها، فجّد علماء مخلصون في معرفة تراجم الرواة معرفة دقيقة، ووضعوا شروطاً لابدّ من توافرها حتى يقبل الخبر.....إلي آخر ما هو موجود في كتب السنة .

وإنني أرى أن البلاغي ينبغي ألاّ يكون أقلّ حظاً من هؤلاء الأفاضل الذين أسهموا في حفظ السنة النبوية المشرفة، فحاولت وأنا متهيب أن أسجل ما أجده في نفسي وأنا أطالع الكلام الشريف من خصائص وطرق تعبير وسمات أسلوب لكلام سيد البشر، ولا يمنع كون معني كلام الرسول- ﷺ–وحيّا من الله يوحي إليه، لا يمنع ذلك أن يكون لكلامه – ﷺ–خصوصية و ميزة تميزه، ويعرف بها ذلك الكلام الشريف وصنعة من أوتي جوامع الكلم، الذي أخبر عن نفسه قائلا :« أوتيت جوامع الكلم »، وقال « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش » فحاولت من خلال تحليل بناء الكلام في ثلاثة أحاديث من أحاديث المصطفي-ﷺ أن أشير إلي خصوصية ذلك الكلام الشريف، هذه

الأحاديث هي « إنما الأعمال بالنيات» و «الإسلام والإيمان والإحسان » و « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه».

الحديث الأول يتحدث عن النية التى هى رأس كل الأعمال وأساسها، والثاني يتحدث عن المنهج الذي ينبغي أن يسير عليه الإنسان وهو يعمل، والثالث بيان لحقيقة هذا الإنسان الضعيف الذي لا يملك من أمره شيئا سوى التسليم لله رب العالمين، فيخلص النية لله وهو يعمل الخير وفقا لمنهج الله . عز وجل ..

وقد بدأت الدراسة بذكر نبذة مختصرة عن راوي الحديث، ثم شرح الحديث شرحا تضمن المعنى العام وشرح المفردات التى تبدو غامضة للسامع، وإعراب بعض الجمل، وبيان وجه بناء العبارة في الكلام الشريف وبناء الجمل وما بينها من روابط تربطها، محاولا . قدر الاستطاعة . الاستفادة من منهج الإمام عبد القاهر في بناء الكلام، ذلك المنهج الذي تكون فيه علوم اللغة العربية متضامنة في نظام بناء اللغة الكلى .

ولا أدعي أنني بدراستي هذه أكون قد وفّيت كلام النبي-ﷺ-حقه في استجلاء بلاغته وبيان سمته وخصوصيته، وإنما هي محاولة علي الطريق، وطرق لباب هذا العلم الشريف .

أسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا إنه سميع قريب مجيب .

ولا أدعي أنني بدراستي هذه أكون قد وفّيت كلام النبي-ﷺ-حقه في استجلاء بلاغته وبيان سمته وخصوصيته، وإنما هي محاولة علي الطريق، وطرق لباب هذا العلم الشريف .

أسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا إنه سميع قريب مجيب .

دكتور

أحمد منصور خلف الله

إنما الأعمال بالنيات

روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– قال : سمعت رسول الله– ﷺ – يقول « إنَّمَا الأعْمَالُ بالنيَّاتِ، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نَوَى، فمَنْ كانَتْ هجرتُه إلي الله ورسُولِه فهِجْرتُه إلي الله ورسُولِه، ومَنْ كانَت هجرتُه لدنْيَا يُصِيبُها أو امرأةٍ ينْكِحُها فهِجْرتُه إلي مَا هَاجَر إليْه»(١).

راوي الحديث : هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه – ولد بعد مولد الرسول – ﷺ– أي بعد عام الفيل بثلاثة عشر عاما، وكان من أشراف قريش، وأسلم في السنة الخامسة، وقيل السادسة من النبوة وسبقه إلي الإسلام من الرجال تسعة وثلاثون، وقيل أربعون، وقيل خمسة وأربعون، ومن النساء عشر، وقيل إحدى عشرة، وقصة إسلامه معروفة وهو الخليفة الثاني بعد أبى بكر الصديق، تولي الخلافة نحو عشر سنين وقد اتسعت دولة الإسلام في عهده، فلم تقتصر علي الجزيرة العربية، وامتدت إلي موقع (طهران) الآن شرقاً، وإلي حدود (مصر) غرباً و جنوباً، وإلي ما بعد(حلب) و (أنطاكية) شمالاً، وابتلعت عروش الأكاسرة و القياصرة فلم يعد للفرس والروم دولة وصولة، لقّبه الرسول –ﷺ– بالفاروق، لأن الله جعل الحق علي لسانه، فهو ينتصر له، ويفرق بذلك بين الحق والباطل، وكناه – ﷺ– أبا حفص، والحفص هو الأسد لما رأي من شدته وقوة بأسه.

وأصهر إليه الرسول بالزواج من ابنته السيدة حفصة – رضي الله عنها – وشهد مع الرسول المشاهد كلها .

قال عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) في حقه : « كان إسلامه فتحاً، وهجرته نصراً، وإمارته رحمة » هذه العبارة الوجيزة من ابن مسعود أدق وصف يختصر حياة عمر منذ إسلامه إلي أن توفي، فقد كان إسلامه فتحاً لأنه أتاح للمسلمين أن يعلنوا دينهم، وأن يصلوا أمام قريش وهم آمنون، وكانت هجرته نصراً حيث كان أنصح أعوان النبي في المدينة لله ولرسوله وللمسلمين، وأغلظ أصحاب النبي علي اليهود والمنافقين، وكانت إمارته رحمة ؛ فقد كان أول من أقام نظام التكافل الاجتماعي بين الناس، واستطاع أن يمسك بزمام دولته طوال خلافته التي امتدت عشرة أعوام ونصف العام، ولم تغفل عينه عن مظلوم أو محروم أو راع أو رعية، فكان يطوف بنفسه في الدروب والأسواق والبلدان ويتسّمع شكاوى الناس فيقتص من الظالم للمظلوم ..... إلي آخره من سيرة تحتاج إلي سرد كثير .

توفي (رضي الله عنه) مقتولاً في السنة الثالثة والعشرين من الهجرة، متأثراً بطعنة أبى لؤلؤة المجوسي.(٢)

---

(١) صحيح البخاري حديث رقم (١) ، مسلم حديث رقم (١٩٠٧) رياض الصالحين ص ٥ باب الإخلاص..

(٢) انظر سيرة عمر بن الخطاب– أحمد التاجى ص(٣) وما بعدها .

أعد قراءة الحديث الشريف وتأمل أسلوبه، وطريقة عرضه للمعنى، وكيف أسس له، ثم بني وفرّع من هذا الأساس، لكن قبل أن أشير إلي القاعدة التي أرساها الحديث وأسس عليها أقول تأمل كلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب راوي الحديث وهو يقول : (سمعت رسول الله-ﷺ-يقول) تلك الجملة التي ألفناها من كثرة دورانها علي الألسنة من غير أن نلتفت إلي دلالتها، واكتفينا بالقول إنّ في الجملة مجازاً بالحذف والتقدير: سمعت كلام رسول الله لأن الذات لا تسمع، نعم في الجملة مجاز بالحذف، ولكن وراء هذا الحذف دلالة أراها في كون هذه الجملة تصاغ هكذا إذا أريد بها الدلالة علي الإصغاء جيداً للمستمع إليه، وكأن المستمع يترقب كل شيء من المتكلم ليسمعه ويستوعبه فيسجله ويحفظه، ويرى الجمهور أن «سمع» يتعدى إلي مفعول واحد وهو في الكلام هنا « رسول الله» ومن ثم تكون جملة « يقول » من الفعل و الفاعل في محل نصب حال من المفعول به، والمعني: سمعت رسول الله حال كونه يقول أو وهو علي حالة القول، ويرى الفارسي أن « سمع » يتعدى إلي مفعول واحد إذا كان هذا المفعول مسموعاً مثل : سمعت القرآن، وسمعت الحديث، وسمعت الكلام، ويتعدى إلي مفعولين كما في الحديث، وعليه تكون جملة « يقول » في محل المفعول الثاني .

والقاعدة التي أرساها الحديث، وانطلقت منها بقية المعني هي قوله (ﷺ) « إنما الأعمال بالنيات » وهو قول صريح قاطع في أنه لا يصح عمل من الأعمال الشرعية إلاّ إذا كان مصحوباً بالنية، والنية في أصلها وحقيقتها عزمة من عزمات القلب، وليست ترجمتها إلي ألفاظ شرطا لتحقيقها، وإن كان هذا لا يفسدها ، وإحضارها حال العمل يهيئ للعبد ثوابها إذا قصد بها وبالعمل رضا الله وثوابه ورحمته، وعلي من أراد شيئاً من الطاعات وإن قلّ أن يحضر نيته وأن ينوي به التقرب إلي الله – تعالى – وأداء ما أمر به، ويدخل في هذا جميع العبادات.

والأعمال جمع، والنيات جمع، ومقابلة الجمع بالجمع تقتضي أن يكون المفرد مقصوداً فكأنه قال (ﷺ) العمل بالنية، والنية مصدر (نوى) علي وزن (فعلة)، اجتمعت الواو والياء، وسبقت الأولي بالسكون، فقلبت ياء وأدغمت الياءان، ومعني النية في اللغة القصد مطلقا، وفي الشرع قَصْدُ الشيءِ مقترناً بفعله امتثالاً وخضوعاً لله (سبحانه وتعالي) و(أل) في النيات بدل من الضمير المحذوف وتقدير الكلام (إنما الأعمال بنياتها)، وجمعت النية مع أنها في الأصل مصدر للإشارة إلي أنها تتنوع، والمصدر إذا تنوّع جمع، مثل جمع: بحث علي بحوث، وضرب علي ضروب، وعلم علي علوم وهكذا، والباء في (بالنيات) للمصاحبة أو الاستعانة، أو السببية، والجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره: العمل يصح بالنية أو العمل يكمل بالنية .

إذن فالطاعات مرتبطة بالنيات في أصل صحتها، وفي مضاعفة فضلها، والعلماء متفقون علي ضرورة النية في الطاعات التي هي مقاصد كالصلاة، والخلاف بينهم في هذه الحالة في كونها ركنا من العمل أو شرطاً فيه، أما الطاعات التي هي وسائل كالوضوء فالخلاف بينهم في اشتراطها، فالجمهور يشترطها، والبعض لا يشترطها، فمن شرطها قدر : إنما صحة الأعمال بالنيات، ومن لم يشترطها قدر :إنما كامل الأعمال بالنيات .[1]

و(إنما) إنّ المؤكدة كفتها (ما) عن العمل، والأعمال بالنيات : مبتدأ وخبره هذه الصورة من صور القصر طريقة (إنما) وهو قصر موصوف علي صفة قصراً إضافياً، والحصر فيه أكثري لا كلي لأنه قد يوجد العمل بدون النية، وقد يترك العمل بدون النية .

وتوكيد الكلام هكذا بإسمية الجملة وصياغتها في أسلوب قصر إنما كان ذلك لأن النبي (ﷺ) بصدد بناء دين، وتأسيس عقيدة صحيحة ومن ثم جاءت اللغة حاسمة قوية ورصينة، قليلة المبنى، كثيرة المعني، فالأعمال منها الصالح الذي قصد به صاحبه وجه الله (ﷻ) امتثالاً وخضوعاً له – تعالي – ومنها دون ذلك، والصحيح منها والمقبول أو الكامل هو ما كان بنية وقصد لله –سبحانه وتعالي – هكذا يرسخ الحديث ويؤكد .

وجاء قوله (ﷺ) :« وإنما لكل امرئ ما نوى » مؤكداً للجملة الأم الأولي ومقوياً لها، أي لكل امرئ جزاء نيته إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فإن نوى بعمله خيراً جوزي عنه خيراً، وإن نوى بعمله شرّاً جوزي عنه شراً، وبهذا ترتبط هذه الجملة بما قبلها ارتباطاً وثيقاً، فكلتاهما تؤدى إلي هدف واحد، وجاءت الجملة الثانية – كما قلت – تأكيداً وتقريراً وتثبيتاً لأمر النية، وضرورة حضورها والتوجه بها إلي الله (ﷻ) خضوعاً وامتثالاً.

وقد يُرى أن الجملة الأولى « إنما الأعمال بالنيات » تؤسس لضرورة حضور النية في الأعمال، أي أن الأعمال بدون النية هدر لا اعتبار لها، والجملة الثانية تحتم تعيين المنوي ومباشرة النية، ومن ثم فلا يجوز أداء طاعة بنية طاعة أخرى فلا تصح – مثلاً – صلاة المغرب بنية صلاة العصر وهكذا، بل يجب أن تسبق العمل نيته .

ومن ثم فكل طاعة تنتظم بنية وعمل، وكانت النية من جملة الخيرات، وكان العمل من جملة الخيرات، ولكن النية من جملة الطاعات خير من العمل، أي لكل واحد منهما أثر في المقصود، وأثر النية أكثر من أثر العمل .[2]

---

(١) انظر الهدي النبوي ص(١٣) د / موسى شاهين لاشين

(٢) انظر إحياء علوم الدين للإمام الغزالي جـ٤ ص(٣٦٦) وما بعدها. دار الريان للتراث

ومما يدل علي أن النية عماد العمل وأساس صحته حديث أنس بن مالك (ﷺ) قال : لمّا خرج رسول الله (ﷺ) في غزوة تبوك قال : « إن بالمدينة أقواماً ما قطعنا وادياً، ولا وطئنا موطئاً يغيظ الكفار، ولا أنفقنا نفقة، ولا أصابتنا مخمصة إلاّ شاركونا في ذلك وهم بالمدينة، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا ؟ قال : حبسهم العذر » فالمشاركة كانت منهم بنياتهم .

وروى أبو موسي «أن أعرابياً أتى رسول الله (ﷺ) فقال : يا رسول الله الرجل يقاتل حمية، والرجل يقاتل شجاعة، والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله ؟ قال (ﷺ) :من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله »[١]

وقول الله (ﷻ)(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)[٢] (البقرة:٢٦٤) .

وغير ذلك كثير مما يدل علي أهمية النية حتى يصح العمل ويكمل ثوابه.

و(كل) في قوله (ﷺ) « كل امرئ » اسم موضوع لاستغراق ما بعده فإن كان ما بعده نكرة استغرق أفرادها، كما في الحديث، وإن كان معرفة استغرق أجزاءها مثل : قرأت كل الكتاب، وصمت كل الشهر، و (امرئ) لفظ يطلق أصلاً علي الرجل كالمرء، والأنثى امرأة كالمرأة، وهو من الألفاظ التي يتبع فيها ما قبل الآخر حركة الحرف الأخير علي اللغة المشهورة، فيقال في الرفع، أنت امرؤ عظيم، وفي النصب :أكرمت امرأ، وفي الجر : لكل امرئ ما نوى، والمقصود من (امرئ) في الحديث الرجل لغلبة دوران الأحكام عليه، وقيل : المقصود منه مطلق الإنسان بدليل استعمال (من) بعده وهي دالة علي العموم في قوله « فمن كانت هجرته.....إلخ » و« لكل امرئ ما نوى » خبر ومبتدؤه، والخبران الكون العام المحذوف الذي يتعلق به الجار والمجرور في الجملتين (إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكل امرئ ما نوى)، و (ما) من قوله (ما نوى) موصولة و التقدير: وإنَّما لكل امرئ ما نواه والعائد محذوف، أو مصدرية والتقدير : وإنما لكل امرئ نيته أي جزاء نيته.

أيضاً جاءت صياغة هذه الجملة – وإنما لكل امرئ ما نوى – في أسلوب قصر طريقه إنما كالجملة الأولى، وهو – أيضاً – قصر صفة علي موصوف قصراً إضافياً، فالجملتان كأنهما جملة واحدة هي الأساس والأم في الحديث، أو القاعدة التي بني عليها الحديث، أو قل عليها مدار الإسلام وقد اتفق الأئمة علي أن هذا الحديث واحد من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، وقال بعضهم :إن هذا الحديث نصف العلم، لأنه يجمل أعمال القلب والطاعة المتعلقة به، وعليه مدارها،

---

(١) انظر الهدى النبوي ص (٧)

(٢) من سورة البقرة آية رقم (٢٦٤)

وهي تقابل أعمال الجوارح فكانت نصف الأعمال فكان الحديث نصف العلم، وقيل : لأن النية عبودية القلب، والعمل عبودية القالب وهما نصفان، وقيل :العمل ظاهر الدين، والنية باطنه، وهذان نصفان أيضاً .

وقال بعضهم : إن الحديث ثلث العلم، لأن كسب العبد بقلبه أو بلسانه، أو بجوارحه، فالنية إحدى الثلاث وأرجحها، لأن اللسان والجوارح تبع للقلب صحة وفساداً، وقيل : لأن الأحكام تدور علي هذا الحديث وعلي حديث «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »، وحديث « إن الحلال بين، وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات ».[١]

وفي النص علي القصر في الجملتين (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) بإنما وإيثارها علي بقية أدواته، وجعلها طريقه هنا، دلالة وميزة وخصوصية تفهم من طبيعة (إنما) في الكلام ودلالتها، فهي لا تأتى إلا حين يراد تصحيح معتقد أو ظن يذهب إلي نقيض المفهوم منها[٢] والسامع حين يسمع « إنما الأعمال بالنيات » يدرك أن هذا الكلام رد علي من ظن أن النية ليست ضرورة في قبول الأعمال وصحتها وكمالها، كما أنها – أي إنما – تدخل علي المعاني المأنوسة، والقريبة من النفوس، فلا تدخل علي الحقائق الغريبة، والأفكار البعيدة، هذا هو الأصل فيها، تقول: إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، وإنما هو أخوك وهكذا، بخلاف (ما) و(إلاَّ) التي تجئ مع المعاني النادرة، التي من شأنها أن تنكر، أما (إنما) فهي أداة رقيقة هامسة، لا تنزعج النفوس لما دخلت عليه لأنه مأنوس بالنسبة لها، أو هكذا ينبغي أن يكون، وهذا لا ينافى كونها تؤكد الكلام وتقرره، وتزيد في إثباته وتعميقه في النفس.

ومن أحسن مواقع إنما وأفضلها وأعلقها بالقلب إذا كانت للتعريض، يقول الإمام عبد القاهر : « إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه »، ليس المقصود بـ (إنما) معنى الكلام بعدها وإنما التعريض بأمر هو ما يقتضيه معنى هذا الكلام، ومن ثَمَّ أستطيع القول بأنَّ (إنَّما) في الحديث تحتمل هذا المعنى إذا اعتبرنا الكلام تعريضاً بمن لا يبالون بالنية ولا يحتفلون بها، وإنما يعملون أعمالهم الصالحة، والطالحة عادة لا تقرباً ولا امتثالاً ولا خضوعاً، كما يفعل المؤمنون العالمون بأن العمل لا يصح إلاَّ بالنية، وهكذا يقال في الجملة الثانية، والجملتان «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى » بمثابة جملة واحدة لأن المعطوف والمعطوف عليه كالشيء الواحد، والأولى هي الأصل، والثانية تابع لها ومؤكدة لمعناها ومقررة له، وقوله (ﷺ) « فمن كانت هجرته إلي الله ورسوله فهجرته إلي الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو

---

(١) انظر بستان العارفين للنووي .

(٢) انظر دلائل الإعجاز ص(٢٢٨) ودلالات التراكيب ص (١٣٩) وما بعدها .

امرأة ينكحها فهجرته إلي ما هاجر إليه » تفصيل وتطبيق للجملة السابقة « وإنما لكل امرئ ما نوى»، وجاءت الجملتان في أسلوب شرط وجزاء، أو سبب ومسبب عنه، والأصل اختلاف كلتيهما عن الأخرى في مضمونها ومعناها، والمعهود اختلافهما في اللفظ تقول: من يذاكر ينجح، فالمذاكرة غير النجاح مضموناً ولفظاً، فإن اتفقتا لفظاً – كما في الحديث – وجب تقديرهما تقديراً يحقق تغاير المضمون، ومن ثَمَّ يمكن أن نفهم الجملتين علي أحد وجهين :

الأول : المبالغة في تعظيم الحكم أو تحقيره بحسب ما يستوجبه، فالتقدير : من هاجر إلي الله ورسوله فهجرته هي الهجرة الربانية الشرعية المقبولة، ومن هاجر إلي الدنيا فهجرته هي الهجرة الدنيوية الحقيرة المرفوضة .

الثاني : جعل ما يدل علي السببية مع الشرط كمقدمة، وما يدل علي المسببية مع الجزاء كنتيجة، والتقدير : من كانت هجرته إلي الله ورسوله نية وقصداً فهجرته إلي الله ورسوله حكماً وشرعاً، أو فهجرته إلي الله ورسوله أجراً وثواباً ومن كانت هجرته إلي الدنيا نية وقصداً فهجرته إلي الدنيا حكما وهوى أو هجرته إلي دنياه مكافأة ونصاباً .

والهجرة في الأصل اسم من الهجر بمعنى الترك، ويطلق علي ترك الوطن إلي غيره مثل هجرة المسلمين من مكة إلي الحبشة فراراً من أذى المشركين، أو هجرتهم إلي المدينة وهكذا، ويطلق أيضاً الهجر علي ما عدا هذا من الترك مثل ترك المسلم أخاه وهجرته خصاماً، أو هجر الزوج لزوجته إذا كانت ناشزاً، أو هجر المعاصي، وعليه فالهجرة في الأصل تقع علي الأشخاص والأعيان، ومن ثم تكون في حق الله (ﷻ) في قوله (ﷺ) « فمن كانت هجرته إلي الله ورسوله.....» تكون تجوزاً مبنياً علي التوسع، أو علي حذف مضاف، والتقدير : من هاجر إلي محل رضا الله وثوابه ورحمته، فهجرته إلي محل رضا الله وثوابه ورحمته، أو على التشبيه البليغ المنتزع من سياق الكلام، والتقدير : من هاجر في سبيل الله فهجرته كأنها لله، وأعاد قوله (إلي الله ورسوله) في جملة الجواب بإظهار لفظي الجلالة والرسول مع أن الظاهر يحتمل الإضمار، وذلك لتأكيد الجزاء وإعلاء شأنه فضلاً عما في إظهار لفظي الجلالة والرسول من التبرك والتلذذ، وفيما بعد في قوله :« فهجرته إلي ما هاجر إليه » أجرى الكلام علي مقتضاه، وعدل عن الإظهار الذي كان في الجملة الأولى للإشارة إلي الإعراض عن الدنيا والمرأة وللإيحاء بعدم الاحتفال بهما .

والفاء في قوله (فمن كانت هجرته .....) واقعة في جواب شرط مقدر، أي إذا ثبت أنَّ لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته .....، والفاء في جملتي (فهجرته إلي الله ورسوله) و (فهجرته إلي ما هاجر إليه) واقعة – أيضا – في جواب شرط لكنه مذكور سابق عليهما، وجملتا الجواب اسميتان ومن ثم اقترنا بالفاء التي ربطت الكلام وجعلته مترتباً بعضه على بعض .

وجملتا (يصيبها وينكحها) في موقع الحال من المسند إليه في(هجرته) أي من كانت هجرته لدنيا مقدراً أصابتها أو لامرأة مقدراً نكاحها، والمقصود بإصابة الدنيا تحصيلها، وفي الكلام استعارة شبه تحصيل الدنيا بإصابة الغرض بالسهم علي سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل (يصيبها)، أو شبهت الدنيا بالغرض الذي يصيبه السهم وجعل فعل الإصابة دالاً علي المشبه به المحذوف علي سبيل الاستعارة المكنية وعَطْفُ (أو امرأة ينكحها) علي (دنيا يصيبها) بأو يفيد التقسيم، أي جعل المرأة قسيماً للدنيا مع أنها منها بدليل ما روى من حديث الرسول (ﷺ) « إنما الدنيا متاع، وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة، وذلك للإشارة إلي الأثر القوى للمرأة في الحياة الدنيا، أو هو من عطف الخاص غلي العام متابعة لما ارتضاه بعض العلماء من جواز عطف العام علي الخاص وعكسه بأو، وإن كان الجمهور يرون هذا العطف خاصاً بالواو[1]، وعلي هذا يكون عطف المرأة علي الدنيا للإشارة إلي أن الفتنة بالمرأة أعظم الفتن الدنيوية .

وإذا كان ديننا يحضنا علي ابتغاء الآخرة فإنه – أيضاً – لا يمنع من طلب الدنيا لا لذاتها، بل للاستعانة بها علي الطاعة والعبادة، قال الله – تعالى– علي لسان قوم قارون (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (القصص:٧٧)[2] هذا والله أعلم .

(١) انظر رصف المباني في شرح حروف المعاني للمَالقَي ص(٤٧٣) وما بعدها .

(٢) من سورة القصص آية (٧٦ ، ٧٧)

الإسلام والإيمان والإحسان

روى الإمام مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب (ﷺ) قال : بينَمَا نحن جُلُوسٌ عِنْد رسول الله (ﷺ) ذَاتَ يَوْم إذ طلَعَ علَيْنا رجلٌ شديدُ بَيَاضِ الثِّيَاب، شديدُ سَوَاد الشَّعْر، لا يُرى عَلَيه أثر السَّفَر، ولا يعَرفه منَّا أحد، حتى جلس إلي النبيَّ (ﷺ) فأسْنَد رُكْبَتَيْه إلي ركبتيه ووضع كفَّيه علي فخْذَيه، وقال: يا محمد، أخْبِرْني عن الإسلام، فقال رسول الله (ﷺ): الإسلام أْن تشْهَدَ أنَّ لا إله إلا الله، وأن محمَّداً رسول الله، وتُقِيم الصَّلاة، وتُؤْتى الزَّكَاة، وتَصُوم رمضان، وتحُجَّ البَيْتَ إن اسْتَطعت إليه سَبِيلاً، قال : صَدَقْتَ، فعَجِبْنا له يسأله ويصدقه، قال : فأخْبِرني عن الإيمَان قال : أن تؤْمِن بالله، وملائِكَته، وكُتُبِه، ورسُله، واليوم الآخر وتؤمن بالقَدَر خَيْرِه وشرِّه، قال : صَدَقْت قال : فأخبرني عن الإحسان قال : أن تعبُد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال : فأخبرني عن السَّاعة قال :ما المَسْئول عنها بأعْلَم من السَّائل قال :فأخبرني عن أمَارَاتها قال : أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحُفَاةَ العُرَاة يَتَطَاولون في الْبُنيان، ثم انطلق، فلبثت ملياً ثم قال : يا عمر، أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : فإنه جِبْريل أتَاكُم يُعَلِّمُكم دينكم(١).

يروى أن نفراً من الصحابة كانوا يسألون النبي (ﷺ) هذه الأسئلة التي جاء جبريل يسأل عنها، وكان الرسول (عليه السلام) يجيبهم بما يعلم، ثم كثر سؤالهم .

وعن الساعة خاصة حتى أجهدوا النبي في ذلك، وخشي (ﷺ) أن يصيبهم مكروه بسبب التفكير في أمور الغيب وأحسوا منه ذلك فكفوا عن السؤال، ثم فتح الرسول لهم باب المسألة فهابوا سؤاله، حتى لا يشقُّوا عليه (ﷺ) ولا يعنتوا أنفسهم مرة أخرى، فأرسل الله جبريل (عليه السلام) في هيئة رجل يسأل الرسول (ﷺ) عن كل ما كان يدور بأخلادهم، وجاء جبريل (عليه السلام) متجملاً وفي هيئة حسنة وزِيٍّ حسن ليقدم للمسلمين مثالاً لما يجب أن يكونوا عليه إذا تزاوروا أو وفدوا علي الأئمة، واستأذن جبريل (عليه السلام) ودنا حتى جلس بين يدي الرسول (ﷺ) فأسند ركبتيه إلي ركبتي الرسول كفعل الراغب في التعلم بين يدي أستاذه يظهر له التواضع والخشية، ووضع كفيه علي فخذيه للاستئناس أو زيادة في الأدب ثم ناداه باسمه (يا محمد) كما كان العرب يفعلون آنذاك، إكمالاً للصورة التي جاء عليها، وزيادة في إخفاء أمره علي الحاضرين لأنه لا يريد أن ينكشف لهم أمره حال حضوره فهو يشدُّ انتباههم إليه بمظهره ومسلكه، ومن بعدهما يشدُّهم إلي الموضوعات التي يثيرها بالسؤال

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان الإسلام والإيمان والإحسان رقم ١: ٨ ورياض الصالحين باب الصدق ص (٢٦) عن أمور غيبية

ومن الجائز أن يكون نداء النبي باسمه سابقاً في وقته علي تحريم نداء الرسول باسمه إتباعاً للآية الكريمة (لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً)[١] أو أن هذا التحريم كان خاصاً بالناس دون الملائكة [٢].

وبدأ الحديث بقول أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب (ﷺ) « بينما نحن جلوس عند رسول الله (ﷺ) ذات يوم إذ طلع علينا رجل .....» مستهلاً (ﷺ) كلامه بـ(بينما) وهو ظرف زمان يتضمن المفاجأة مركب من (بين) و (ما) الزائدة التي كفتها عن عمل الجر، وأفاد التركيب الشرط، ولذلك وقعت (إذ) في جوابها . قال ابن بَرّى : بينا وبينما ظرفا زمان بمعنى المفاجأة، ويضافان إلي جملة . فعلية أو اسمية . ويحتاجان إلي جواب يتم به المعنى[٣]، وجواب (بينما) في الحديث هو (إذ طلع علينا رجل)، وآثر (ﷺ) أن يكون التعبير بالجملة الإسمية في قوله « نحن جلوس » بدلاً من أن يقول مثلاً : بينما نجلس عند رسول الله، ليدل علي أن جلوسهم عند رسول الله (ﷺ) كان منذ زمن فهم مستقرون علي هذه الهيئة وإنما كان طلوع سيدنا جبريل – عليه السلام – هو الطارئ، والحادث المفاجئ، ويؤكد هذا المعنى لفظ (جلوس) إذا اعتبر مصدراً بمعنى (جالسون)، لا جمع جالس كشهود جمع شاهد، لأن الوصف بالمصدر . سواء كان نعتاً كـ (مررت برجل عدل، أو خبراً كالجملة هذى « نحن جلوس » . فيه مبالغة في إثبات المعنى المفاد من المصدر، وقال (ﷺ) «نحن جلوس» ولم يقل «نحن قعود» لأن مادة « قعد » قد تجئ بمعنى الاهتمام بالشيء والتهيؤ له فيقال : قعد للأمر أي اهتم به وتهيأ له، وسيدنا عمر ومن معه من الصحابة لم يكونوا جالسين من أجل طلوع جبريل . عليه السلام .، بل كان مجيئه مباغتاً لهم، وتجئ . أيضاً . مادة (قعد) بمعنى التأخر عن الشيء أو تركه، أي عكس المعنى الأول، ومنه القاعد عن الجهاد الذي لا يهتم به أو يتراخى في إنجازه، وفي القرآن الكريم(لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً)[٤] وسيدنا عمر ومن معه ليسوا كذلك، بل كانوا جالسين عند النبي(ﷺ) ليتعلموا منه ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم فهم

---

(١) سورة النور آية (٦٣) .

(٢) الهدي النبوي د / موسى شاهين لاشين ص(٢٦) وما بعدها

(٣) لسان العرب مادة (بين) .

(٤) من سورة النساء آية (٩٥)

أصحاب همم عالية، ونفوس زكية، ومن ثَمَّ كان التعبير بالجلوس أفضل وأدق من التعبير بالقعود.

و (عند) في قوله (ﷺ) (عند رسول الله) ظرف مكان أفاد القرب الحسي أي كانوا (ﷺ) قريبين من النبي (ﷺ) بالجلوس معه وفي حضرته، وتستعمل . أي عند . في القرب المعنوي كما في قوله تعالي (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) وتأمل الترابط الصوتي بتكرار حرف السين في كلمتي (جلوس) و (رسول الله) وعلاقة هذا بالمعنى، أو قل أهمية هذا التكرار للمعنى، والإشارة به إلي العلاقة القائمة بين الكلمتين فالجلوس كان عند رسول الله (ﷺ)، بل كان الرسول . عليه السلام . غاية هذا الجلوس، وقوله (ﷺ) : (ذات يوم) معناه : مرة في يوم، (إذ طلع علينا رجل) أي أقبل علينا رجل، إلا أن طريقة أمير المؤمنين في الدلالة علي المراد أبلغ حيث صوّر ذلك المقبل في صورة شمس بدت وظهرت من عُلُوٍّ، وهذا ما دلت عليه لفظة (طلع)، ومن ثم فالكلام مبنى علي الاستعارة المكنية، أو مبنى علي الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل (طلع) فيكون المقصود هو تشبيه ظهور الرجل بطلوع الشمس في نباهة الشأن، وكان لتنكير لفظ (رجل) دور في التأكيد علي أنه رجل نابه الشأن وقور غير معروف لهم وذكر بعض صفاته فقال (شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثرا لسفر، ولا يعرفه مِنَّا أحد) وجاءت جمل الصفات مرتبطة ارتباطا ذاتيًّا أغناها عن العطف بالواو لأنها لا تدخل بين الصفة والموصوف، ومن ثم جاءت الجمل الثلاث « شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر » بلا واو وأيضاً للإشارة إلي أنه . أي الرجل . جامع لهذه الخصال أما الجملة الرابعة (ولا يعرفه منا أحد) فقد جاءت موصولة بما قبلها، معطوفة عليه للتوسط بين الكمالين . كمال الاتصال وكمال الانقطاع . فالجملتان خبريتان لفظا ومعنى، وقصد تشريك الثانية للأولى في الحكم الإعرابي وهو الصفة لـ (رجل) وفى تقديم الجار و المجرور (منا) علي الفاعل (أحد) إفادة الاهتمام بالمقدم إذ كانوا جميعاً يجهلون شخص القادم، وهذا أمر تقديري من راوي الحديث، لأن النبي (ﷺ) داخل في قوله (منا) إلا أنه يعرف القادم حسب بعض الروايات .

وكان للطباق بين (شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر) أثره في إبراز المعنى وتوضيحه، والدلالة علي الهيئة الحسنة الجميلة التي كان عليها القادم إليهم .

ويجوز إعراب جملة (لا يرى عليه أثر السفر) حالاً من رجل بعد تخصيصه بالنعتين (شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر) ويروى الحديث (لا نَرَى ....) بالنون مبنياً للفاعل، وهو ضمير المتكلمين، و(أثر) مفعول به، بيد أن رواية (لا يُرى) ببناء الفعل للمجهول أدل علي إفادة العموم .

أي لا يرى عليه أي راءٍ أثر السفر . من رواية (لا نَرَى....) ببناء الفعل للمعلوم، لأن هذه الرواية تقيد الفعل بالمتكلم ومن معه فقط .

وقوله (ﷺ) (حتى جلس إلي النبي _ ﷺ _) بمعني عنده لأن (إلي) بوضعها لانتهاء الغاية، و(حتى) ابتدائية ويصح أن تكون غائية، وعلي هذا يكون في الكلام حذف، والتقدير : طلع علينا رجل فاستأذن ودنا حتى جلس، وذاك لأن الجلوس ليس غاية للطلوع، لكن يكون غاية للدنو .

وقوله (ﷺ) : (فأسند ركبتيه إلي ركبتيه، ووضع كفيه علي فخذيه، وقال يا محمد، أخبرني عن الإسلام) معناه : أسند جبريل . عليه السلام . ركبتيه إلي ركبتي الرسول (ﷺ) كما يفعل المتعلم إذا جلس بين يدي أستاذه زيادة في التواضع والتأدب، ووضع كفيه علي فخذيه زيادة منه في التنكر مما يقوى الظن في أنه يصنع مثل صنيع الأعراب لأنهم هكذا كانوا يصنعون، وجاءت الفاء في قول الراوي . ﷺ . (فأسند ركبتيه إلي ركبتيه) للترتيب والتعقيب، أي كان من الرجل بعد أن استأذن ودنا حتى جلس كان منه بعد ذلك هذا الفعل وهو إسناد ركبتيه إلي ركبتي النبي (ﷺ)، أما الواو في قوله (ووضع كفيه علي فخذيه، وقال : يا محمد .....) فقد ضمَّت هذين الفعلين (ووضع.....وقال.....) إلي الفعل الأول (فأسند) بلا تقيُّدٍ بترتيب ملفوظ بين الفعلين، بل تُرِكَ لتخيُّلِ السامع وتقديره، لأن الواو لمطلق الجمع، ولا يخفى ما بين هذه الجمل (فأسند ... ووضع...، وقال) من توسط بين الكمالين . كمال الاتصال وكمال الانقطاع . لأنها جمل خبرية لفظاً ومعنى، والمتحدث عنه واحد فيها .

ثم طلب جبريل . عليه السلام . من النبي (ﷺ) أن يخبره عن الإسلام فقال :يا محمد أخبرني عن الإسلام بادئاً طلبه بالنداء ليمهد للأمر ويهيئ النفس له، لأن المطلوب بيانه مهم، فهو دين الله وحقيقة الإسلام والإيمان والإحسان، وبيان لوظائف الأعمال الظاهرة والباطنة التي ترجع إليها الشريعة الغراء، وفيه بيان لأركان الإسلام وقواعده الخمس وبيان لمحاور الإيمان والإحسان .

ولمَّا كان المطلوب بيانه بهذا القدر من الأهمية حتى تُهَيَّأ له النفس هكذا وتُلْفَتْ إليه، كان طلبه بالأمر لا بالاستفهام، أي لم يقل أمين الوحي مثلاً : يا محمد ما الإسلام، ما الإيمان، ما الإحسان لما في الأمر من حَثِّ علي إيقاع المطلوب وتحقيقه وإنفاذه لأهميته عند الطالب، أو لأهميته للمطلوب منه أو لغيرهما كما هو الشأن في الحديث .

ونادي جبريل رسول الله (ﷺ) نداء البعيد فقال : (يا محمد) مع أنه يجلس بين يديه ويُسْنِدُ ركبتيه إلي ركبتيه إشارة إلي مكانة رسول الله (ﷺ) العظيمة، ودرجته العالية الرفيعة، وفيه لفت للنظر إلي أهمية المطلوب الإخبارُ عنه، ومن ثم قال جبريل . عليه السلام . : أخبرني ولم يقل . مثلاً . حدثني أو كلمني لأن الإخبار عن الشيء فيه بيان لحقيقته الثابتة يقيناً .

ثم يقول الراوي : (فقال رسول الله ﷺ . الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً قال : صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه) وكان إخبار النبي (ﷺ) . لجبريل . عليه السلام . علي وجه السرعة لم يحتج إلي وقت يفكر فيه لأنه أخبر بأمور ثابتة في يقينه راسخة في وجدانه، حاضرة في ذهنه، إنَّها أمور الدين والشرع، والتي من أجلها بعث (ﷺ) هذا ما أفادته الفاء في قول الراوي (فقال رسول الله . ﷺ) .

وبدأ سؤال جبريل للنبي . عليهما السلام . أولاً عن الإسلام لأنه يعنى الاستسلام أي الانقياد الظاهر، فالإسلام هو ظاهر هذا الدين بمعني أنه هو الذي يظهر للناس، ويثبت حكمه في نطق الشهادتين، نطقا ينبغي أن يكون عن يقين واعتقاد، وهذا معني (أن تشهد) أي أن تخبر عن أمر متيقن .

وأعاد النبي (ﷺ) ذكر الإسلام عندما سئل عنه (أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله . ﷺ . الإسلام ....) وكان المقام . بناء علي الظاهر . علي أن يقول : (أن تشهد .....إلخ) أو (هو أن تشهد)، فأعاد ذكره، أو أظهره في مقام الإضمار لزيادة الإيضاح والتقدير حتى يتمكن الخبر في ذهن السامع خاصة أنه بصدد تعليم الصحابة أمور دينهم ثم أضيف إلي الشهادتين الأربعة الأركان الأخرى (الصلاة، والزكاة والصيام والحج) لكونها أظهر شعائر الدين وأعظمها شأناًُ، وبإقامتها يكمل الاستسلام لشرع الله، وإن شئت فقل : يصح الإسلام .

وقد ظهر لك أن تقديم الشهادتين علي سائر الأركان مقصود به تحصيل الإسلام بهما، وباقي الأركان مبني عليهما مشروط بهما وثنى بالصلاة لأنها عماد الدين، والفارق بين من أسلم ومن لم يسلم ولأنها تتكرر كل يوم، وبعدها ذكر الزكاة لأنها قرين الصلاة في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ولأنها تجب في المال سواء كان المسلم مكلفا أم غير مكلف، ثم الصوم لأنه يتكرر كل عام، أما الحج فإنه يجب في العمر مرة واحدة .

وإذا قارنا هذا الحديث بحديث (بني الإسلام علي خمس) نجد أن النبي هناك قال (بني الإسلام علي خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .....إلخ) فذكر الشهادة وبقية الأركان بالإسمية، أما في هذا الحديث فذكرها بالفعلية فقال : (أن تشهد .....) لأنه هناك يتحدث عن أركان ثابتة مستقرة لبناء شامخ فناسب هذا المعني الإسمية التي تفيد الثبوت والاستمرار، أمَّا هنا فإنه يتحدث عن دخول في هذا البناء الشامخ المستقر، وهذا يقتضي الحدوث وتجدده فناسبه التعبير بالجملة الفعلية التي فعلها مضارع للدلالة علي التجدد والحدوث .

وأن في قوله (أن لا إله ألا الله) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، وخبرها الجملة بعدها، ولا نافية للجنس وإله اسمها، وخبرها محذوف تقديره : موجود أو في الوجود إلا الله، وإلا أداة استثناء

ولفظ الجلالة مرفوع علي البدلية من الضمير المستتر في الخبر المقدر وقيل : يجوز أن يعرب بدلاً من محل لا واسمها لأن محلهما الرفع بالابتداء، وهذا الأسلوب . أعنى أسلوب النفي والاستثناء . أفاد القصر وهو من قصر الصفة علي الموصوف قصراً حقيقياً تحقيقياً، أكّد المعنى وقوّاه وهو وحدانية الله . عز وجل . فإذا تمكن هذا المعني في نفس قائله، وصار معتقداً ويقيناً في قلبه صحت شهادته وحسن انقياده وإسلامه، وسلم من النفاق، وكذلك يقال في باقي الشهادتين (وأن محمداً رسول الله) .

وأل في كلمات (الإسلام والإيمان والإحسان) للحقيقة والماهية الشرعية، أي أن السؤال كان عن حقيقة هذه الأشياء .

ثم ذكر (ﷺ) بعد الشهادتين الصلاة فقال :(وتقيم الصلاة) ومادة الفعل(تقيم) تدور حول التقويم والتثقيف تقول : قوَّمت العود، وأقمته، وعدلته، وإيقاع الإقامة علي الصلاة يعنى استقامتها ويكون بتعديل أركانها وأدائها علي وجهها الصحيح، والصلاة في اللغة الدعاء، وتطلق علي البركة، والاستغفار، وفي الشرع هذه العبادة المخصوصة بهيئتها وحركاتها وأدعيتها وأركانها وشروطها وأوقاتها، وسميت بها لما فيها من الأدعية .

وبناء العبارة (وتقيم الصلاة) علي هذه الصورة جعلها غنية بالمعاني البلاغية، لأنك إذا جعلت إقامة الصلاة من إقامة العود وتقويمه يكون في الفعل استعارة تصريحية تبعية بتشبيه تعديل أركان الصلاة بتقويم العود، واستعيرت له الإقامة، ثم اشتق الفعل (تقيم) بهذا المعنى، وإذا أخذت الإقامة من قامت السوق وأقيمت، تكون العبارة كناية عن المداومة علي الصلاة والمحافظة عليها، وإذا أخذتها من قام الأمر فمجاز في الإسناد . أي مجاز عقلي . وعليه إقامة الصلاة بمعنى جعلها قائمة وهذا يفيد التشمر لها، وإذا أخذتها من قام في الأمر، بمعنى أدَّاه فمجاز مرسل إذ المعنى توجد قيامها من إطلاق البعض علي الكل .

تأمل أسلوب الكلام الشريف، كلام من أوتي جوامع الكلم، كيف تزاحمت فيه المعاني، وكثرت إشاراته حتى أثرت الأسلوب، وجعلته علي قمة البلاغة .

ثم ذكر (ﷺ) بعد ذلك إيتاء الزكاة فقال : (وتؤتى الزكاة) وتؤتى من الإيتاء وهو الإعطاء، والزكاة تعنى في اللغة النمو والزيادة وجعلت اسماً علي هذا الركن من أركان الإسلام الذي يقتضى إخراج قدر معين من المال وإعطاءه لمن يستحقه بشرائطه المذكورة في كتب الفقه، وهذه زكاة للمال لأنها تنميه بالبركة وبتطهير المزكي من الشُّح والبخل .

والفعل (تؤتى) يتعدى إلي مفعولين، والمذكور مفعوله الثاني أما مفعوله الأول فقد حذف، والتقدير: تؤتى المستحقين أو الإمام الزكاة، إذن العبارة بنيت موجزة بهذا الحذف لموازنة العبارة

السابقة (تقيم الصلاة) وللإشارة إلي أن المقصود إيتاء الزكاة أي حصول الفعل نفسه، فمتى تحقق وحصل وقع حتماً علي من يؤتاها .

وفرق بين التعبير بالإقامة مع الصلاة، وبالإتيان مع الزكاة، لأنه من المستقيم معنىً أن يقول النبي (ﷺ) تؤدِّى الصلاة وتؤدِى الزكاة . مثلاً .، يقال : أدّى الشئ : قام به، وأدَّى الصلاة أقامها لوقتها، وأدّى الشهادة : أدلى بها، وأدّى إليه الشيء : أوصله إياه ولكن لما كانت الصلاة مناجاة من العبد للرب يسأله حاجته، وإعلانا منه بذُلِّ العبودية أمام سلطان الألوهية، إذن فالمصلى في حضرة مهيبة اقتضى ذلك كله أن يقيم العبد الصلاة كما ينبغي لا أن يؤديها بلا إتقان أو بغفلة وهو لَاهٍ .

وهذه الخصوصية التي هي في الصلاة لا تجدها مع الزكاة، ومن ثم اكتفي معها بالإيتاء وإن كان الإخلاص مطلوباً في الأعمال كلها، وإن كنت أرى فضيلة في التعبير بالإيتاء دون الأداء . مثلاً . في الزكاة، تلك الفضيلة هي الإشارة إلي أن مال الزكاة حق للمستحقين له يجب أن يوصله المزكي إليهم فهو مستخلف في هذا المال، مستأمن عليه، ولا فضل له . إطلاقاً . علي هؤلاء الآخذين .

ثم ذكر (ﷺ) صوم رمضان فقال : (وتصوم رمضان) والفعل تصوم من الصوم، أي يعني الإمساك والكف عن الشئ في اللغة، ومنه صام عن الكلام إذا أمسك عنه، قال تعالى عن مريم البتول (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً)[1]، ومنه صام النهار إذا انتصف لبطء حركة الشمس فيه، وصام الفرس عن العلف، وخص الصوم شرعاً بالإمساك عن شهوتي البطن والفرج، وما يقوم مقامهما من الفجر إلي غروب الشمس مع نية ذلك، وإيقاع الصيام علي رمضان يحدد المقدار الزمني المفروض أداء الصوم فيه، ورمضان هو تاسع الشهور العربية الذي يعقب شهر شعبان، وسمى بهذا الاسم لأنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر زمن الرمض أي شدة الحرارة .

ورمضان في قول النبي (ﷺ) (وتصوم رمضان) مفعول به إذ المقصود إيقاع الفعل عليه لا فيه، وهذا من سمت وصفة كلام سيد المرسلين صاحب الكلمات الجامعة والعبارات البليغة، لأن إيقاع الصوم علي رمضان بهذه الصيغة، مع أنه يقع فيه لا عليه، إشارة تؤكد أهمية أن يحفظ الإنسان صومه في رمضان، ويبالغ في هذا الحفظ حتى كأن رمضان الزمن قد صام، ولهذا فالصائم إما أن يكون صائما صوما عاماً يكف بطنه وفرجه عن شهوتيهما، أو صائماً صوماً خاصاً يكف مع ذلك جوارحه عن الآثام، أو صائما صوماً أخص يكف مع ذلك كله قلبه عما سوى الله (ﷻ) (٢).

---

(١) من سورة مريم آية (٢٦) .

(٢) انظر إحياء علوم الدين . كتاب أسرار الصوم ص (٢٣٠) وما بعدها .

ثم ذكر النبي بعد ذلك حج البيت فقال: (وتحج البيت أن استطعت إليه سبيلاً)، وحج البيت معناه قصد البيت الحرام في مكة المكرمة لأداء المناسك الخاصة بهذا الركن من أركان الإسلام لمن استطاع وأمكن له أن يزوره .

والسبيل، والسبيلة بمعنى الطريق، وما وضح منه يذكر ويؤنث وتوسعوا فيه فأطلقوه علي عدة معان تتصل بالمعنى الأصلي بسبب أو بآخر، ومنها الطاعة كقوله تعالى (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .....)[١] أي في طاعته، ومنها المسلك كقوله تعالى (وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً)[٢] أي وساء مسلكاً، ومنها المخرج كقوله تعالى في معاملة النساء الفاحشات : (وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً)[٣] أي مخرجاً، ومنها الحجة كقوله تعالى في بعض المسلمين الذين لم ينابذوا بحرب أو عصيان : (فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلا)[٤] أي حجة.

ويعرب لفظ (سبيلاً) مفعولاً به، ويجوز أن يعرب تمييزاً ملحوظاً عن نسبة الاستطاعة، والتقدير : إن استطعت سبيل البيت، وتقديم الجار والمجرور (إليه) في الجملة الشرطية (إن استطعت إليه سبيلاً) للاختصاص، أي أن الاستطاعة منصرفة إلي البيت، والقدرة علي زيارته خاصة، وجاءت هذه الجملة الشرطية قيداً لما قبلها وكانت إطناباً للتنبيه علي أن أداء فريضة الحج ليس علي إطلاقه إنما هو مقيد بالاستطاعة اتباعاً للفظ القرآن الكريم في ذلك(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) .[٥]

والاستطاعة تكون بالقدرة علي الوصول إلي مكة من غير مشقة بالغة مع الأمن علي النفس والمال والقدرة علي الرحيل والسفر .

ومثل هذه الاستطاعة مشروعة في الصلاة والصيام والزكاة أيضاً، إذ لا يمكن أن يؤديها غير مستطيع لها ولكنها قرنت بالحج وحده لعظم المشقة فيه دونها . والله أعلم .

وجاءت جملة الشرط مقترنة بـ (إن) دون (إذا)، لتشير إلي هذا المعنى وهو توفر كل شروط الحج أمر قليل التحقق عزيز علي كل الناس، ممكن لبعضهم القليل، وجاء فعل الشرط (استطعت)

---

(١) من سورة البقرة آية (٢٦٢)

(٢) من سورة النساء آية (٢٢) .

(٣) من سورة النساء آية (١٥) .

(٤) من سورة النساء آية (٩٠) .

(٥) من سورة آل عمران آية (٩٧) .

ماضيًا لفظاً لأن المعنى : وتحج البيت إن تستطع إليه سبيلاً، جاء بصيغة الماضي للإشارة إلي الرغبة في تحقيق هذا الركن الخامس من أركان الإسلام متى تحققت الاستطاعة التي صورها التعبير عنها بالماضي، في صورة الواقع المتحدث عنه، ثم قال الراوي (ﷺ) : (قال . أي جبريل عليه السلام . صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه) وجاءت جملة (قال) بلا عطف، أي بلا وصل ظاهر لما فيها من وصل خفي اتصلت فيه الجملة بما قبلها اتصالاً ذاتيًا، لأنها . أي جملة (قال) . جواب عن سؤال اقتضاه الكلام السابق، فَنُزِّلَتْ منزلته، ففصلت ظاهراً عما قبلها كما يفصل الجواب عن السؤال، والسؤال الذي اقتضاه الكلام السابق تقديره : ماذا قال جبريل . عليه السلام . بعد ما سمع من النبي الإجابة عن الإسلام ؟ فجاءت الإجابة : قال ..... إلخ .

وهذا ما يعرف عند البلاغيين بشبه كمال الاتصال، ووجه الاتصال الذاتي الذي يكون بين الجملتين أو الجمل في هذا النوع من الكلام، أن المعاني فيه تتواصل من طريق أن الجملة الأولى تتولد منها الثانية، وكأنها أصل ينبثق منه فرع، فالسؤال الذي أثارته الجملة الأولى هو الذي أنتج الجملة الثانية جواباً عنه

وقول أمير المؤمنين (ﷺ) (فعجبنا له) من العجب (بفتح فسكون أو بالتحريك بالفتح) وهو إنكار ما يرد عليك أو هو روعة تأخذ الإنسان عند استعظام الشئ[1]، وينشأ من خفاء السبب ولهذا قيل (إذا عرف السبب زال العجب)، وقد أبان سيدنا عمر عن داعية العجب بقوله (يسأله ويصدقه) لأن مقتضى السؤال الجهل، ومقتضى التصديق العلم فكيف يجتمع الجهل والعلم في آن واحد ؟!، وفصلت جملة(يسأله) عن جملة :(فعجبنا) فصلاً ظاهراً، أي ترك العطف بينهما لوجود الاتصال المعنوي في الكلام، فالجملة الأولى (عجبنا) أثارت تساؤلاً عند السامع هو ما سبب العجب ؟ فجاءت الثانية لتجيب علي هذا السؤال المثار، أو كان الفصل في الثانية (يسأله) للاستئناف البياني الموضح علة الحكم السابق وهو العجب منه .

ثم سأل جبريل . عليه السلام . سيدنا محمداً (ﷺ) عن الإيمان قال الراوي (قال فأخبرني عن الإيمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره قال : صدقت). جاءت جملة (قال) هنا بلا عطف علي ما قبلها . كسابقتها . لنفس المعنى المشار إليه هناك، وهكذا في جملة (قال) في بقية الحديث، ومعنى الفاء هنا في قول الراوي : (قال فأخبرني.....) غير معنى الفاء في قوله هناك :(قال صدقت فعجبنا) فالفاء في (فعجبنا) للتسبيب، أي كان العجب بسبب قول جبريل . عليه السلام . لرسول الله . ﷺ . : (صدقت)، أما الفاء الداخلة علي هذه الجملة : (قال فأخبرني.....) فهي للترتيب والتعقيب والربط بالكلام السابق، أي أن النبي . عليه

(١) المعجم الوجيز مادة (عجب) .

السلام . بعد أن انتهي من كلامه عن الإسلام وبيان معناه طلب منه . جبريل . عليه السلام . أن يخبره عن الإيمان طلبا كان بلا مهلة، وليس معنى هذا أن الفاء السببية حرمت معنى الترتيب في قوله : (فعجبنا) بل الترتيب معنى قائم فيها مطلقا، والمعاني الأخرى لها تستفاد من السياق بجوار المعنى الأصلي لها، أو قد تكون الفاء في جواب شرط مقدر، أي إذ قد أخبرتني عن الإسلام فأخبرني عن الإيمان و(عن) في (أخبرني عن الإسلام..... عن الإيمان .....عن الإحسان) للمزايلة، أو كما يقول النحويون للمجاوزة، واستعمالها في هذا المعنى كثير[1]، والتقدير : أخبرني عن الإسلام والإيمان والإحسان خبراً أزايل به السؤال عن هذه الأشياء وأفارقه فلا أسأل بعد ذلك، والمقصود تعليم الصحابة أمور دينهم في وضوح وجلاء .

والإيمان في أصله التصديق وهو عمل من أعمال القلب لا يطلع عليه إلا الله . سبحانه وتعالى . وقد توجه في الحديث إلي تصديق خاص بستة أمور : بالله وملائكته، وبكتبه، وبرسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، والتصديق بالله هو أس الإيمان وركنه الأساسي، وقاعدته العريضة، لأن من آمن بالله آمن بسائر خلقه من الملائكة والكتب والرسل، واليوم الآخر والقدر . وقد سبق أن بينا أن الإسلام يثبت حكمه في الشهادتين وأن الصلاة والزكاة والصيام والحج أضيفت إلي ذلك لأنها أظهر شعائر الدين، وبأدائها جميعاً يصح الإسلام، ولكن ليس بالضرورة أن يكون مؤدى هذه الشعائر مؤمناً .

قال تعالى (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[2]، فالآية تشير إلي تغاير الإسلام والإيمان إذ إن المنافقين كانوا ينطقون بالشهادتين ويصلون ويتصدقون ولكنهم كانوا ينكرون بأفئدتهم ولا يصدقون، فلما جاءوا الرسول يزعمون إيمانهم كذبهم الله في زعمهم، وإن قبل منهم أن يقولوا بالإسلام لأنهم يتعاطونه ويمارسونه، ولا مانع من أن يتناول الإيمان حقيقة الإسلام كما قررها الحديث ويتناول سائر الطاعات لأنها جميعاً من ثمرات التصديق الباطني الذي هو أصل الإسلام والإسلام أيضاً يتناول ما هو أصل الإيمان وهو الشهادة بالله ربا وبمحمد رسولاً ويتناول أيضاً أصل الطاعات التي يزيد بها الإيمان وينقص .

والإيمان بالله لا يعنى فقط مجرد التصديق بوجوده . سبحانه وتعالى . وأنه الخالق، فقد رأى المشركون ذلك ولم يعتبر الله هذا إيمانا منهم، وآيات القرآن التي تتحدث عن هذا الأمر كثيرة منها

---

(١) انظر شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك الجزء الثالث ص(٢٣) .

(٢) من سورة الحجرات آية رقم (١٤) .

قوله تعالى (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) .[١]وقوله تعالى (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ)[٢] فهذا الاعتراف بوجود الله وأنه الخالق لم يكن يكفى في تحقيق الإيمان، وإنما يجب أن يكون مع التصديق بوجود الله الإقرار بوحدانيته في ذاته وصفاته وأفعاله وخلقه، واتصافه بكل كمال، وتنزهه عن كل نقص ومحال، فلا شريك له، بل هو منزه عن الشريك وعن الشبيه، وهو الحاكم المدبر المنفرد بالحكم والتدبير، الفعال لما يريد، المتصرف في ملكه كما يشاء .

والإيمان بملائكة الله التصديق بوجودهم، وأنهم (عِبَادٌ مُكْرَمُونَ . لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) [٣]، (لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[٤] والإيمان بكتب الله التصديق بأنها كلام الله الحق أنزله علي رسله لهداية البشر.

والإيمان برسل الله التصديق بهم، وبأنهم من البشر اصطفاهم الله لرسالته وأرسلهم إلي الناس (رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)[٥] وهم كثير ويجب علينا أن نُجِلَّهم جميعاً (لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) .[٦]

والإيمان باليوم الآخر التصديق بوجوده، وبجميع ما اشتمل عليه من إعادة الخلق بعد الموت وبعثهم وحشرهم، ونشرهم وحسابهم ووزن أعمالهم، ومرورهم علي الصراط ومصيرهم إلي الجنة داراً للثواب، أو إلي النار داراً للعقاب.....إلخ .

والإيمان بالقدر خيره، وشره هو التصديق بأن الله قدر الخير، وقدر الشر قبل الخلق فكل ما كان بتقدير الله (ﷻ) وكل ما يكون بتقدير الله . سبحانه . .

وخير القدر الإيمان والطاعات وسائر الأعمال الصالحة، وشر القدر الكفر والمخالفة عن أمر الله وسائر أفعال المعاصي .

ولمَّا كان الإيمان بهذه المكانة في الإسلام، وأنه عمل من أعمال القلب لا يطلع عليه إلا الله . سبحانه وتعالى . أعاد النبي ذكره في الكلام بصيغة الفعل عندما اِسْتُخْبِرَ عنه فقال : (أن تؤمن .....) لبيان العناية بأمره وكذلك أعاد ذكره مع القدر فقال (ﷺ) : (وتؤمن بالقدر .....) للتنبيه

---

(١) من سورة الزخرف آية رقم (٨٧) .

(٢) من سورة لقمان آية (٢٥)

(٣) من سورة الأنبياء آية رقم (٢٦ ، ٢٧)

(٤) من سورة التحريم آية رقم (٦) .

(٥) من سورة النساء آية رقم (١٦٥) .

(٦) من سورة آل عمران آية رقم (٨٤) .

إلي أهمية الإيمان بالقدر والاهتمام بشأنه إذ لا يعلم القدر إلا بصير بأمور الدين، أو أعاد العامل (تؤمن) لبعد العهد به وكأنه يختم الإجابة موصولة بأولها .

ثم عقب جبريل (عليه السلام) علي إجابة النبي (ﷺ) بقوله : (صدقت) وهو كلام أثار دهشة الصحابة . كما قلت . كيف يسأل السائل ويصدق في آن واحد .

ثم سأل جبريل . عليه السلام . النبي (ﷺ) عن الإحسان، فأجابه النبي هذه الإجابة الحكيمة التي تعد من جوامع كلمه (ﷺ) إذ قال : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وجملة (كأنك تراه) في موقع الحال من الفاعل، والتقدير : تعبد الله مُشبَّهاً بمن يراه . وقوله (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) شرط وفعله، أما جوابه فمحذوف تقديره (فأحسن العبادة)، وجاءت جملة (فإنه يراك) تعليلاً للجواب المحذوف ودليلاً عليه، ولم تصلح جواباً لأن الجواب جزاء لفعل الشرط ومسبب عنه، وليس عدم رؤية العابد لله سبباً في رؤية الله له، فإن الله . سبحانه وتعالى . يرى عبده العابد له سواء وجدت من هذا العابد رؤية أم لم توجد، والفاء في الكلام للربط والترتيب والتعليل كما رأينا.

وجاء الكلام علي طريق التشبيه، والتقدير : الإحسان عبادتك الله حال كونك في عبادتك مُشْبِهاً حال كونك رائياً الله، فالإحسان بهذا البيان العالي يقتضى إتقان العبادة وأداءها علي وجهها الصحيح، وأداءها كواجب، وبدافع من النفس التي تربت علي المراقبة الذاتية دون انتظار عوض أو مقابل ملموس، ومراقبة الله . سبحانه . وإظهارَ الخضوع والعبودية له كأنَّك تعاينه فإن لم تكن في هذه الحالة أو عليها، فاستدع جلال الله ورهبته وعظمته وضع نفسك في حال الماثل بين يديه لأنه يراك ويطلع منك علي السِّرِ وأخفى، فإن تحقق الإحسان بهذا المعنى في نفسك وصارت به نفساً عالية شامخة، ارتاح بعد ذلك منها علي كل شئ في الكون فلا تعرف رياءً ولا سمعة، وهي تتعامل في الدنيا، وصار بها صاحبها ربانيًّا تدركه الخشية (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) [1]، (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) [2].

ثم سأل جبريل . عليه السلام . الرسول (ﷺ) عن الساعة فقال الراوي (قال فأخبرني عن الساعة) والمقصود هنا زمان وقوع الساعة لا حقيقتها، فالساعة كحقيقة وواقع مقطوع بها ويشملها الإيمان باليوم الآخر .

وكانت إجابة النبي له إجابة حكيم، قال « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » وسياق الكلام أن يقول (ﷺ) : (ما أنا بأعلم منك) ولكنه أظهر في الموضعين، إشعاراً بالتعميم، وتعريضاً للسامعين بأن كل مسئول وسائل كذلك، فشمل هذا الجواب كل مسئول وسائل وليس محمد وجبريل . عليهما

---

(١) من سورة الملك آية (١٢) .

(٢) من سورة النازعات آية (٤٠ ،٤١) .

السلام . وحدهما ومجيئ الكلام في سياق النفي يشعر بالتساوي في نفى العلم بوقت الساعة لا نفى التساوي في العلم بوقتها فتأمله . وزياد الباء في الخبر (بأعلم) لتأكيد النفي .

وسُمِّى يوم القيامة بالساعة مع امتداد زمانه لأنه يقع فجأة، وللقيامة أسماء كثيرة بحسب ما يعرض للخلق فيها، واستأثر الله . سبحانه . بعلم الساعة لحكمة بالغة فقال: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[١].

وخفاء أمر الساعة وما فيها من أهوال عِظَام، وأمور جسام حمل الناس علي السؤال عنها بكثرة فأنزل الله فيهم قوله (يَسْأَلونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) .[٢]

فهم يسألون عن وقت إرسائها تشبيها لها بالسفينة ترسو علي الشط، وجاء الجواب بأن علم ذلك عند الله، فلا تزال خفية لا يظهر أمرها إلا الله، ولا يكشف خفاءها إلا الله وحده إذا جاء بها بغتة فثقلت وشق أمرها علي من في السموات والأرض، ويسألونك ملحفين في السؤال كأنك . يا محمد . حفيُ عنها أي عالم بها، والجواب واحد : علمها عند الله، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله وحده هو المختص بعلمها .

وسأل جبريل . عليه السلام . النبي (ﷺ) عن علامات الساعة، يقول الراوي :« قال فأخبرني عن أمارتها » فأخبره الرسول (ﷺ) عن اثنتين من هذه الأمارات . يقول الراوي : « قال : أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » .

وسأل جبريل عن وقت الساعة، ولم يسأل ابتداء عن أمارتها ليكون في جواب النبي (ﷺ) زجر للناس عن السؤال عن وقتها فقد أكثروا السؤال عنها، .كما قلت . فلما أجيبوا بأنه لا يعلمها إلا الله وجب أن يكفوا عن السؤال عنها، ولو سأل جبريل عن أمارتها ابتداء لضاعت هذه الفائدة .

ومن أمارات الساعة التي ذكرها الحديث أن تلد الأمة ربتها، وفي رواية أبى هريرة (رضي الله عنه) «إذا ولدت الأمة ربها»، وفي المراد منه أقوال كثيرة تدور حول فساد الأحوال واضطراب الأمور، أهمها أنه كناية عن كثرة أولاد السراري فإنه ولد الأم من سيدها بمنزلة سيدها لأن مال الإنسان صائر إلي ولده، ولا شك أنها مال لأبيه، وقد يتصرف الوالد في مال أبيه في حياته تصرف المالكين بإذنه، وقيل : كناية عن فساد الحال لكثرة بيع أمهات الأولاد فيتداولهن المالكون فيشترى الرجل أمه وهو

---

(١) من سورة لقمان آية رقم (٣٤) .

(٢) من سورة الأعراف آية رقم (١٨٧) .

لا يشعر، وقيل : إنه يكثر عقوق الأولاد لأمهاتهم فيعاملونهن معاملة السيد لأمته من الإذلال و المهانة ومن هنا يكون إطلاق الربة . أو الرب . علي الولد مجازاً ويستأنس له برواية (أن تلد المرأة ربتها)، ومنها . إذا قصد من الرب المربى أي القائم بالتربية . أن تنعكس الأمور بحيث يصير الولد المستحق للتربية هو القائم بتربية أمه، ويسانده ما تتصمنته الأمارة الثانية من صيرورة الحفاة العراة العالة رعاء الشاء كالملوك يتطاولون في البنيان، أو أنه كناية عن رفع الأسافل من الناس .

ومن أمارات الساعة . أيضاً . أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، والمعنى أن تبسط الدنيا لهؤلاء الأسافل حفاة الأقدام، عراة الجسد، العالة، رعاء الشاة حتى يصبحوا السادة وأهل الثراء والجاه فيتنافسون في رفع البناء ويتفاخرون بطوله وارتفاعه، ويصبح ذلك همهم ولا يلتفتون إلي شرع أو دين فيستشرى الفساد وتعم الفوضى وتضيع الحقوق، وتهدر العدالة . وما أكثره الآن !

والخطاب في (ترى) لكل راءٍ يصح خطابه، والمراد من الرؤية العلم فيدخل في ذلك المبصر وغيره.

واقتصر النبي في إخباره عن أمارات الساعة علي اثنتين منها ربما كان ذلك لقرب وقوعهما من زمنه فهو ينبه لهما لما تحملانه من الخطر علي البشرية، ويحذر منهما .

ثم انطلق جبريل . عليه السلام . بعد ذلك مغادراً مجلس الرسول، ولا يعرف أحد عنه شيئاً سوى أنه رجل جاء يسأل عدة أسئلة، وأجيب عنها، وفي رواية أبى هريرة أن الرجل أدبر فقال رسول الله (ﷺ) « رُدُّوا عليَّ الرَّجُلَ » فأخذوا يطلبونه فلم يروا شيئاً وعرف الرسول أنه جبريل فأخبرهم بخبره، وظاهر رواية أبى هريرة أن رسول الله (ﷺ) أوضح للصحابة أن السائل هو جبريل في نفس المجلس بعد أن حاولوا رده فلم يجدوه، ويعارض هذا ما جاء في رواية عمر بن الخطاب عند أبى داود والترمذي من أن الرسول (ﷺ) قال لعمر : أتدرى من السائل ؟ قال له ذلك بعد ثلاث ليال من سؤال جبريل، ويمكن الجمع بين الروايتين بأن عمر لم يحضر قول النبي (ﷺ) في الحال، بل كان قد قام من المجلس ولم يرجع فأخبر النبي (ﷺ) الحاضرين في الحال، وأخبر عمر (رضي الله عنه) بعد ثلاث.[1]

وجملة (أتدرى من السائل ؟) فيها (مَنْ) استفهامية علقت الفعل (تدرى) عن العمل، وسدت مسد مفعوليه، هذا الاستفهام كان من رسول الله (ﷺ) . لعمر . رضي الله عنه . ليزيد ﷺ . في تشويق عمر للجواب لأنه (ﷺ) يعلم يقينا أن عمر لا يعرف الرجل فكان سؤاله لهذا المعنى، وأجاب عمر (رضي الله عنه) رسول الله (ﷺ) بقوله (الله ورسوله أعلم) مؤكداً عدم علمه بالرجل، و(أعلم) في الجملة خبر للفظ الجلالة أو لرسوله، وحذف الخبر من الآخر لدلالة المذكور عليه، ويجوز أن يكون خبراً لهما علي الرغم

(١) انظر الهدى النبوي د/ موسى شاهين لاشين ص(٥٢ و ٥٣)

من إفراده وذلك بتقدير (من) الجارة محذوفة مع الفضل عليه، والتقدير : الله ورسوله أعلم من غيرهما .

وعلي التقدير الأول يكون قول عمر علي حد قول الله عز وجل : (وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ) [١]، " الأصل: والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك، فحذف من الثاني لدلالة الأول عليه، وقدّم رسوله علي المسند المذكور ليفيد أهمية إرضاء رسول الله (ﷺ) خشية أن تنصرف النفوس إلي إرضاء الله وتتوانى في شئ من أمر رسوله عليه السلام فنبه بهذا التقديم علي عظمة إرضاء رسول الله وأنه من الله بمكان" [٢]

وفي كلام عمر (الله ورسوله أعلم) الأصل والله أعلم ورسوله كذلك، فحذف المسند (أعلم) من الثاني (رسوله) اعتماداً علي دلالة الأول عليه، وقدَّم رسوله علي المسند المذكور ليفيد أن علم رسول الله مستمد من الله (ﷻ) ولا يخبر (ﷺ) إلا بما أخبره ربه . سبحانه . ومن كان هذا حاله حَرِيٌّ أن يصدق.

وقال رسول الله (ﷺ) « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » الفاء هنا في جواب شرط تقديره : أَمَّا إنْ صرفتم العلم إلي الله ورسوله فإنه جبريل .....، وجملة (أتاكم) خبر بعد خبر وجملة (يعلمكم) في موضع الحال من فاعل (أتى)، وإسناد التعليم إلي جبريل مجاز مرسل لأن النبي (ﷺ) هو المجيب عن أسئلة جبريل فعلَّم الصحابة بذلك، وجبريل كان سبباً في هذه الإجابة بسؤاله .

وفي هذا القول الشريف (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) دليل علي أن الدين يشمل الإسلام والإيمان والإحسان ولا ينافى هذا إطلاقه علي الإسلام وحده في قوله تعالى (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)[٣] وقوله (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)[٤] وقوله (وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً)[٥] فالدين يشمل الإسلام والإيمان والإحسان علي سبيل الاشتراك، أي هذه الأمور تشترك في غاية واحدة هي وحدانية الله وعبادته بما أمر ونهى وإحسان هذه العبادة، والله أعلم .

---

(١) من سورة التوبة آية (٦٢) .

(٢) انظر خصائص التراكيب د/ أبو موسى ص(٢١٥) .

(٣) من سورة آل عمران آية (١٩) .

(٤) من نفس السورة آية (٨٥) .

(٥) من سورة المائدة آية (٣) .

خلق الإنسان

روى الإمامان البخاري ومسلم في صَحِيحَيْهما عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود (ﷺ) قال : حدثَّنا رسول الله (ﷺ) وهو الصَادق المَصْدُوق : (إن أحَدكم يُجْمع خَلْقُه في بَطْنِ أمّه أربعين يوماً نُطْفة، ثم يكون عَلَقَةً مثل ذلك، ثم يكون مُضْغَةً مثل ذلك، ثم يُرسَل إليه الملك فيَنْفُخ فيه الرُّوح، ويُؤْمَر بأرْبَع كلمات : بكتب رزقه وعَمَله وأجله، وشَقيٌّ أو سَعِيد، فوالذي لا إله غَيْره إن أحَدَكم ليَعْمَلُ بعَملِ أهل الجنَّة حتى ما يكون بَيْنه وبَيْنَها إلا ذِرَاع فيسبِقُ عليه الكتَاب فيَعْملُ بعمَلِ أهل النَّار فيدَخُلها وإن أحَدَكُم ليعْمَل بعمَلِ أهل النَّار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيَعْمل بعَمَلِ أهلِ الجَنَّة فيدخلها.[1]

راوي هذا الحديث هو عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل وسادس من أسلم، وأمين سر الرسول (ﷺ) وصاحب وسادته ونعليه وطهوره في السفر، وكان (ﷺ) عندما أسلم راعياً لعقبة بن معيط، وتحمل في سبيل الدعوة الكثير من المشركين، وهاجر إلي الحبشة الهجرتين، بعد هجرته إلي المدينة آخى النبي (ﷺ) بينه وبين الزبير بن العوام، وشهد بدراً وسائر الغزوات مع الرسول (ﷺ) وفي غزوة بدر أجهز علي أبى جهل بعد أن سقط جريحاً .

كان (ﷺ) أسمر اللون، نحيف الجسم، قصير القامة، دقيق الساقين، وكان نظيف الثوب، طيب الرائحة، حسن الصوت والتجويد للقرآن الكريم، قال النبي فيه : « من سرّه أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه علي قراءة ابن مسعود » وهو أول من جهر بالقرآن من الصحابة، وذاك أنه عندما نزلت سورة الرحمن دعاه النبي إلي قراءتها علي قريش فذهب إليهم وافتتح بها القراءة فقام أبو جهل إليه ولطمه وشق أذنه وأدماه، وقد شغل ابن مسعود بالقرآن ومواطن نزوله وأسبابه وقال في هذا : (والله الذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيم نزلت ولو أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله منى تناله المطية لأتيته) .

وكان(ﷺ) يكثر من الصلاة ويقل من صيام التطوع، فسئل في هذا فأجاب : لأني إذا صمت ضعفت عن الصلاة .

ولاه عمر بن الخطاب قضاء الكوفة وبيت مالها وأبقاه عثمان عليهما، وعرف (ﷺ) بالتواضع والحذر، فقد خرج يوما يمشى فتبعه ناس فالتفت إليهم قائلا : ألكم حاجة ؟ قالوا :لا ولكن أردنا أن نمشى خلفك، قال لهم : ارجعوا، فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع .

---

(١) صحيح البخاري حديث (٣٢٠٨ . ٣٣٣٢ . ٦٥٩٤ . ٧٤٥٤) وصحيح مسلم حديث رقم (٢٦٤٣) ورياض الصالحين باب إجراء أحكام الناس علي الظاهر ص (١١٦) .

ودخل عليه عثمان في مرض موته وهو في المدينة، فسأله : ما تشتكى؟ أجاب ابن مسعود: أشتكى ذنوبي، فسأله وما تشتهى؟ قال : أشتهى رحمة ربى، قال عثمان: ألا آمر لك بالطبيب قال ابن مسعود : الطبيب أمرضني قال عثمان : أَلاَ آمر لك بعطاء قال : لا حاجة لي به، قال عثمان : يكون لأولادك من بعدك قال ابن مسعود : إني لا أخشى عليهم الفقر بعد ما علمتهم سورة الواقعة يقرءونها كل ليلة .

وتوفى (ﷺ) سنة ٣٢ هـ عن بضع وستين سنة، والمتأمل الحديث الشريف يجد كلام النبوة في أبهى وأجل صوره، فالنبي (ﷺ) الأمي يتحدث منذ أكثر من أربعة عشر قرناً بما عُرِف متأخراً بعلم الأجنة، فيقول (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ....إلخ) أي أن الإنسان يتم تكوينه جنيناً في بطن أمه . أي في رحمها . علي النحو الآتي : يجمع المنى نطفة مخلقة في مدة أربعين يوماً، تتحول بعدها إلي علقة مدة أربعين يوماً ثانية، وفي الأربعين يوماً الثالثة تتحول إلي مضغة حتى إذا صار للجنين مائة وعشرون يوماً نفخ الله فيه الروح التي بها الحياة والحركة، وكتب رزقه وأجله وعمله، وحال معاده من الشقاوة أو السعادة كما هو مقدور له في الأزل، ويمضى الإنسان في رحلة حياته لا يدرى ما تكون الخاتمة [١].

وبدأ راوي الحديث بقوله : (حدثنا رسول الله . ﷺ . وهو الصادق المصدوق .....) وحدثنا أصله أنشأ لنا حديثاً، والحديث هو الخبر، والجديد[٢] وهو عند الجمهور بمعنى أخبرنا وأنبأنا، وبعض المتأخرين يخص حدثنا بما سمعه، وأخبرنا بما قرئ عليه، وأنبأنا بما أجازه، وقوله : (وهو الصادق المصدوق) أي رسول الله (ﷺ) هو الصادق فيما أتى به، وهو المصدوق بمعنى المصدق فيما أتى به، فالله . جل شأنه . يصدقه في دعواه الرسالة بإظهار المعجزات غلي يديه، والخلق يصدقونه فيما يقول، وجبريل غليه السلام يأتيه بالصدق من عند الله . عز وجل . وهو. أعنى قوله : (وهو الصادق المصدوق) . جملة اعتراضية فلا محل لها من الإعراب، أو حالية من فاعل (حدثنا) فهي في محل نصب، وترجح البلاغة أن تكون جملة اعتراضية لا حالية، لأنها كجملة اعتراضية تدل علي أن ذلك دَأْبُه (ﷺ) ودَيْدَنُه وعادته، أما الحالية فتوهم اختصاص ذلك ببعض الأحوال .

ولفظة (أحدكم) في قوله (ﷺ) « أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة » بمعنى الواحد منكم، ولذلك استعملت في الثبوت كما تستعمل في النفي، بخلاف « أحد » التي للعموم فلا تستعمل إلا في النفي مثل (لا أحد في الدار)، وجاءت الرواية بكسر همزة (إن) وفتحها فالكسر

---

(١) كنوز من السنة ص (٩٥) د/ عبد الواحد خميس .

(٢) انظر لسان العرب مادة (حدث) .

على حكاية لفظه (ﷺ) والفتح علي تقدير (أن) مصدرية، تؤول هي وما بعدها بمصدر يقع مفعولاً لحدَّث .

وجاءت لفظة (يجمع) واقعة موقعها ومعبرة عن المراد، بل أقول : لا يصلح مكانها لفظ آخر كالقول . مثلاً . « إن أحدكم يكون خلقه.....» لأن يجمع من الجمع وهو ضم ما شأنه الافتراق والتنافر، وتقريب الأشياء بضم بعضها إلي بعض، ويقتضى الحفظ، والخلق في الأصل التقدير والإبداع والاختراع علي غير مثال، والمقصود بجمع الخلق هو جمع مادة الخلق وهو المنى الموصوف بكونه أمشاجاً في قوله تعالى: (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً)[1]

تقول العرب : مشجت الشيء بالشيء، كخلطته وزنا ومعنى، والناتج من هذا الخلط يسمى مشيجاً وجمعه أمشاج، فالمشيج هو المكون من عناصر مختلفة باختلاف مواد الغذاء التي تكونت منها النطفة أرأيت كيف كانت لفظة (يجمع) معبرة عن المراد وواقعة موقعها اللائق بها؟!

وفي بناء تلك اللفظة . أعنى (يجمع) . للمجهول طيٌّ لقدرة الله (ﷻ) المتمثلة في أشياء كثيرة معلومة وغير معلومة، تَحَدَّثَ عنها العلم أو سيتحدث عنها .

وفي قوله (ﷺ) « في بطن أمه » مجاز مرسل لأن البطن في الأصل الجوف وخلاف الظهر، والأكثر تذكيره، وتأنيثه لغة [2]، والمراد به هنا الرحم، أي في رحم أمه من إطلاق الكل وإرادة الجزء.

وقوله (ﷺ) « أربعين يوماً نطفة » ظرف ليجمع، ويوماً تمييز العدد، ونطفة حال من نائب الفاعل، أي يجمع خلقه حال كونه نطفة أي منيًّا، وأصل النطفة الماء الصافي القليل، يقال : نطف الماء قطر، ونطفت القربة قطرت، وسُمَّى المنى نطفة لقلته، وقيل لسيلانه من قولهم : ماء ناطف أي سائل، وتنكير اللفظة . أعنى نطفة . يؤكد معنى القلة فيها وهذا من شأنه الدلالة علي قدرة الخالق . سبحانه وتعالى . الذي أوجد من عدم .

و(يكون) في قوله . ﷺ . « ثم يكون علقة مثل ذلك » بمعنى يصير و(ثُمَّ) بالضم حرف عطف يقتضى التشريك في الحكم والترتيب والمهلة غالبا، كما هو شأنها هنا في الكلام، وقد تكون لمجرد الترتيب فقط مثل قولك (أعجبني ما قمت به اليوم ثم ما قمت به الأمس أعجب، لأن" ثم" لترتيب الأخبار هنا، ولا تراخى بين الإخبارين، و"علقة" خبر يكون، و"مثل" نعت لمحذوف يقع ظرفا،

---

(١) من سورة الإنسان آية رقم (٢) .

(٢) انظر اللسان والصحاح مادة (بطن) .

والتقدير يكون علقة زماناً مثل ذلك الزمان الذي مَّر أي مثل الأربعين يوماً . ونظير هذه الجملة في الإعراب جملة (ثم يكون مضغة مثل ذلك) .

والعلقة هي الدم الغليظ المتجمد، سُمِّيَ بذلك لعلوقه أي ارتباط بعضه ببعض، أو لأنه لرطوبته يعلق بما يمر عليه، فإذا جف لم يسم علقة والتاء للوحدة وجمعها علق، وجاء جمعاً في قوله تعالى (خلق الإنسان من علق) والمضغة هي القطعة بمقدار ما يمضغ من اللحم وغيره، والمضغ اللوك بالسن.

ثم قال (ﷺ) « ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه، وعمله، وأجله، وشقي أو سعيد » .

و(ثم) هنا كسابقتها أفادت ترتيب الأحداث والمهلة الزمنية التي كانت بين تلك الأحداث .

و(يرسل إليه الملك) الفعل مبنى للمفعول، والملك نائب الفاعل، وحقيقة الإرسال البعث، والمراد بإرسال الملك هنا أَمْرُه بالتَّصَرُّفِ والملك هنا هو الملك الموكل بالرحم فاللام للعهد، وفي بناء الفعل (يرسل) للمفعول، وحذف المسند إليه الحقيقي إشارة إلي قوة ظهوره وأن ذلك الفعل العظيم لا يكون إلا من الذي يقدر عليه . سبحانه وتعالى . والفاء في قوله (فينفخ فيه الروح) رتبت الأحداث وجعلتها متوالية بلا مهلة، والواو في قوله (ويؤمر بأربع كلمات .....) جمعت ما وقع بعدها بما قبلها، وفي إسناد الفعل (ينفخ) إلي ضمير الملك مجاز عقلي لأن الفعل من أفعال الله (ﷻ) كالخلق، والعلاقة بين الفاعل الحقيقي . سبحانه وتعالى . والفاعل المجازي وهو الملك، سببية فالله (ﷻ) آمر للملك بهذا الفعل، والملك هو المباشر له .

والروح تطلق علي معنيين أحدهما مادي، والآخر غير مادي، فهي كمادة جسم لطيف منبعه تجويف القلب الإنساني يدفع بأثره في الحياة والحس والحركة إلي أجزاء البدن بواسطة العروق الضوارب في هذه الأجزاء، والروح بالمعنى الثاني لطيفة ربانية روحانية هي حقيقة الإنسان التي بها إدراكه وعلمه ومعرفته ويتعلق بها خطابه وطمأنينته وألمه وسعادته، وشقاوته .[١]

ونفخ الروح في الإنسان المراد به إدخالها في بدنه، وحقيقة النفخ إخراج ريح من النافخ يتصل بالمنفوخ فيه وقيل : إن نفخ الملك في الصورة سبب لإيجاد الله . تعالى . فيها الروح والحياة .[٢]

وقوله (ﷺ) « ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد » أي أربع قضايا، والكلمات جمع كلمة وهي في الأصل اللفظة، ويتوسعون فيها فيطلقونها علي الكلام والمسألة والقضية والقصيدة، وأرى في إيثار النبي (ﷺ) التعبير عن هذه القضايا بلفظة (كلمات) دلالة

(١) انظر إحياء علوم الدين . الشيخ أبو حامد الغزالي . جـ ٣ ص٣ وما بعدها .

(٢) نفسه .

علي سهولة هذه القضايا ويسرها عند الله فهي وإن جلت يسيرة سهلة بالنسبة لقدرة من يقول للشيء كن فيكون .

والكلمات . أي القضايا . التي تكتب للإنسان أربع : رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، وكتابتها بمعنى تقديرها أو تسجيلها، ورزق الإنسان هو ما ساقه الله إليه فانتفع به، سواء أكان مادة كالمطعوم و المشروب والملبوس، أم غير مادة كالعلم والمعرفة، قال المعتزلة : إن الرزق هو المملوك مطلقا، انتفع به أم لم ينتفع، وكتابة الرزق تشمل مقداره وصفته ومصدره .

وأبهم الرزق ولم ينص فيه علي معين ليشمل القليل منه والكثير، والحلال أو الحرام أو المكروه، والمادة كالمطعوم والمشروب والملبوس، وغير المادة كالعلم والذكاء ..... إلخ .

وأجل الإنسان مدة حياته، أو منتهاها وهو الوقت الذي قدر الله في الأزل انتهاء الحياة فيه، وكتابة الأجل تشمل مقداره، وزمانه، ومكانه .

وظاهر قول الله (ﷻ) : (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ)[1] وغيره من آيات بينات أن الأجل محدود معدود لا يقبل نقصاً ولا زيادة، وأورد فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية قولين فقال : (وفي هذه الآية قولان :

القول الأول : وهو قول ابن عباس والحسن ومقاتل : أن المعنى أن الله تعالى أمهل كل أمة كذبت رسولها إلي وقت معين، وهو تعالى لا يعذبهم إلي أن ينظروا ذلك الوقت الذي يصيرون فيه مستحقين لعذاب الاستئصال فإذا جاء ذلك الوقت نزل العذاب لا محالة .

القول الثاني : أن المراد بهذا الأجل العمر، فإذا انقطع ذلك الأجل وكمل امتنع وقوع التقديم والتأخير فيه، والقول الأول أولى لأنه تعالى قال (ولكل أمة) ولم يقل ولكل أحد أجل .

وعلي القول الثاني إنما قال تعالى (ولكل أمة) ولم يقل لكل أحد لأن الأمة هي جماعة في كل زمان، ومعلوم من حالها التقارب في الأجل لأن ذكر الأمة فيما يجرى مجرى الوعيد أفحم، وأيضاً فالقول الأول يقتضى أن يكون لكل أمة من الأمم وقت معين في نزول عذاب الاستئصال عليهم، وليس الأمر كذلك لأن أمتنا ليست كذلك .

المسألة الثالثة : إذا حملنا الآية علي القول الثاني : لزم أن يكون لكل أحد أجل لا يقع فيه التقديم والتأخير فيكون المقتول ميتاً بأجله، وليس المراد منه أنه تعالى لا يقدر علي تبقيته أزيد من ذلك، ولا أنقص، ولا يقدر علي أن يميته في ذلك الوقت، لأن هذا يقتضى خروجه تعالى عن كونه قادراً

---

(١) من سورة الأعراف آية رقم (٣٤) .

مختاراً، وصيرورته كالموجب لذاته، وذلك في حق الله تعالى ممتنع، بل المراد أنه تعالى أخبر أن الأمر يقع غلي هذا الوجه .[١]

أما قوله تعالى (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)[٢] فقد ذكر ابن كثير في تفسيرها الآتي :

« أي ما يعطى بعض النطف من العمر الطويل يعلمه وهو عنده في الكتاب الأول (وما ينقص من عمره) الضمير عائد علي الجنس لا علي العين لأن الطويل العمر في الكتاب وفي علم الله تعالى لا ينقص من عمره، وإنما عاد الضمير علي الجنس .

قال ابن جرير وهذا كقولهم عندي ثوب ونصفه أي ونصف ثوب آخر، ..... وروى عن ابن عباس . رضي الله عنهما . في تفسير الآية يقول : (ليس أحد قضيت له بطول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر، وقد قضيت ذلك له فإنما ينتهي إلي الكتاب الذي قدرت لا يزاد عليه، وليس أحد قدرت له أنه قصير العمر والحياة ببالغ العمر ولكن ينتهي إلي الكتاب الذي كتبت له، ..... وقال مجاهد في تفسير الآية (أي في بطن أمه يكتب له ذلك لم يخلق الخلق عن عمر واحد بل لهذا عمر ولهذا عمر هو أنقص من عمره فكل ذلك مكتوب لصاحبه بالغ ما بلغ .

وقال النسائي عند تفسير هذه الآية الكريمة .....عن أنس بن مالك (ﷺ) قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول « من سرّه أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه » .

وعن أبى الدرداء (ﷺ) قال : ذكرنا عند رسول الله (ﷺ) . أي هذه الآية . فقال : (إن الله تعالى لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم في قبره فذلك زيادة العمر) .[٣]

أما قوله تعالى (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)[٤] فقد ذكر ابن كثير في تفسيرها أقوالاً كثيرة منها : ما روى عن ابن عباس : يدبر أمر السنة فيمحوا الله ما يشاء إلا الشقاء والسعادة والحياة والموت، وفي رواية (يمحو الله ما يشاء ويثبت) إلا الحياة والموت والشقاء والسعادة فإنهما قد فرغ منهما .

ويروى أن كعبا قال لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين لولا آية في كتاب الله لأنبأتك بما هو كائن إلي يوم القيامة، قال وما هي ؟ قال قول الله تعالى : « يمحو الله ما يشاء » الآية، ومعنى

---

(١) انظر مفاتيح الغيب جـ٧ ص(٥٧ ، ٥٨)

(٢) من سورة فاطر آية رقم (١١)

(٣) انظر تفسير ابن كثير . الجزء الثالث ص(٥٤٩ ، ٥٥٠)

(٤) من سورة الرعد آية رقم (٣٩) .

هذا أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها ويثبت منها ما يشاء وقد يستأنس لهذا القول بما رواه الإمام أحمد ..... عن ثوبان قال : قال رسول الله (ﷺ) « إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر » ورواه النسائي وابن ماجه من حديث سفيان الثوري، وثبت في الصحيح أن صلة الرحم تزيد في العمر، وفي حديث آخر (إن الدعاء والقضاء ليعتلجان بين السماء والأرض) .[1]

وعمل الإنسان كل ما يصدر عنه من فعل، وكتابته تشمل صفته ونوعه، وقوله (ﷺ) « شَقِيٌّ أو سَعِيدُ »، شقي خبر لمبتدأ لمحذوف والتقدير : وهو شقي أو سعيد، ودخل (سعيد) في حيز الخبر مع وجود العطف، لأن هذا العطف بأو الدالة علي التفصيل، وكلاهما (شقي أو سعيد) فعيل صفة مشبهة أو بمعنى مفعول من الشقاوة ومن السعادة، وهما نقيضان وتعنى الشقاوة الشدة والعسر والتعب، وتعنى السعادة الراحة واليسر واليمن والرخاء .

وعُدِلَ في الكلام عن ذكر المصدر فيقال (ويؤمر بأربع كلمات، بكتب رزقه وعمله وأجله وسعادته أو شقاوته) ليحكى صورة ما يكتب (شقي أو سعيد) هكذا يكون والله أعلم، وعطفهما (ﷺ) بأو للإشعار بأنه يكتب له واحد منهما ولا يكتبان معاً، ولهذا جعلا الكلمة الرابعة، أو القضية الرابعة، ولو أرادهما اثنين لقال (ويؤمر بخمس كلمات)، وفي تقديم الشقاوة علي السعادة إشارة إلي نزوع النفس البشرية بطبعها إلي ما يجلب عليها الشقاوة والتعاسة باعتبار أن الله . سبحانه . يكتب بعلمه القديم الأزلي ما يحصله المرء بمحض إرادته هو، (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) وهذا هو يقيني .

وشقاوة الإنسان أو سعادته أمران يوصف بهما حال حياته أو معاده أو حاله في آخر أيامه بالدنيا قبل موته.

يقول البيجورى في شرحه علي الجوهرة (..... فالسعادة والشقاوة مقدرتان في الأزل لا يتغيران ولا يتبدلان لأن السعادة هي الموت علي الإيمان باعتبار تعلق علم الله أزلا بذلك والشقاوة هي الموت علي الكفر بذلك الاعتبار فالخاتمة تدل علي السابقة فإن ختم له بالإيمان دل علي أنه في الأزل كان من السعداء وإن تقدمه كفر، وإن ختم له بالكفر دَّل علي أنه في الأزل كان من الأشقياء وإن تقدمه الإيمان)[2]

والفاء في قوله (ﷺ) (فوالذى لا إله غيره) واقعة في جواب شرط مقدر وتسمى الفاء الفصيحة، والتقدير : إذا كان كل الشقاوة والسعادة مكتوباً فأقسم بالله الذي لا إله غيره، والواو واو القسم، والمقسم به محذوف، والذي نعت لهذا المقسم به، وصلته الجملة بعده، وجواب القسم : (إن أحدكم ليعمل) و (لا) نافية للجنس، و(إله) اسمها، أما خبرها فمحذوف تقديره : موجود أو في الوجود، و(غير) مرفوع علي البدلية من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، وأقسم النبي بهذا القسم

---

(١) انظر تفسير ابن كثير الجزء الثاني ص(٥١٩ ، ٥٢٠)

(٢) انظر شرح البيجورى علي الجوهرة المسمى تحفة المريد علي جوهرة التوحيد ص(١٢٢) للشيخ إبراهيم البيجورى .

لتقوية الأمر في النفوس، وفي جملة الجواب تأكيد علي تأكيد لتقوية المعنى المفاد منه وهو قوله(ﷺ) « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها »

واللام في قوله (ﷺ) (ليعمل بعمل) للابتداء، ويعمل فعل وفاعله الضمير المستتر، والجملة تقع خبراً لإن، والفعل مضمن معنى يتلبس ولذا عُدّى بالباء، لأن معناه الأصلي يتعدى بدون تلك الباء وما بعدها مفعول به، أو مفعول مطلق، وورد الفعل في قوله (حتى ما يكون) مرفوعاً علي الاستئناف مع حتى الابتدائية وإن اعتبرتها غائبة فالرفع جائز علي تقدير الفعل حالاً بتأويل، والنصب مع حتى الغائية واجب إن قدرت الفعل مستقبلاً حقيقة، وجائز إن قدرته مؤولاً بالحال، وقوله(إلا ذراع) إلا أداة استثناء ملغاة لوقوعها في استثناء مفرغ، وذراع مرفوع بيكون فيعرب فاعلاً إن قدرت الفعل تاماً واسماً إن قدرت الفعل ناقصاً .

والحديث يشير إلي أن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا مقدار ذراع . وهذا تمثيل لشدة القرب وكناية عنه . فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار أي يتحقق المكتوب عليه في اقتضاء الشقاوة، وأيضاً يعمل أحدكم بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا مسافة قريبة فيسبق عليه الكتاب فيعمل هذا الإنسان بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة تحقيقاً للمكتوب عليه في اقتضاء السعادة .

والكتاب هو اللوح المحفوظ أو ما سبق كتبه في بطن الأم، أو علم الله . سبحانه وتعالى . . وفي قوله (ﷺ) (فيسبق عليه الكتاب) تمثيل للكتاب والعمل في صورة شخصين متنافسين يريد كل منهما السبق، فيظفر أحدهما وهو الكتاب بالسبق .

وفي التعبير بعلي في قوله (فيسبق عليه الكتاب) دلالة علي غلبة ما هو كائن في الأزل، وكذلك دلالة الفاء علي ترتيب الأحداث ووقوعها بلا مهلة أو تراخ في قوله (فيسبق ..... فيعمل..... فيدخلها) .

(وخوف العامة من الخاتمة وخوف الخاصة من السابقة وهو أشد وإن تلازما هذا هو ما ذهب إليه الأشاعرة، وذهب الماتريدية إلي أن السعادة هي الإيمان في الحال، والشقاوة هي الكفر كذلك فالسعيد هو المؤمن في الحال وإذا مات علي الكفر فقد انقلب شقيا بعد أن كان سعيداً، والشقي هو الكافر في الحال وإذا مات علي الإيمان فقد انقلب سعيداً بعد أن كان شقياً، ويترتب علي الخلاف بين الأشاعرة و الماتريدية أنه يصح أن تقول : أنا مؤمن إن شاء الله علي قول الأشاعرة، وأنه لا يصح ذلك علي الثاني) [١].

(١) نفسه (١٢٢) .

والحديث الشريف أجمل أطوار الإنسان ورحلة تكوينه بينما زادتها الآيات في سورة (المؤمنون) تفصيلاً، قال تعالى (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ*ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ*ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ*ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ*ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) .

والسلالة الخلاصة لأنها تُسَلُّ من بين الكدر و(فُعالة) بناء يدل علي القلة كالقُلامة، والقمامة .

واختلف أهل التفسير في الإنسان فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومقاتل[1]: المراد منه آدم عليه السلام، فآدم سُلَّ من الطين وخلقت ذريته من ماء مهين ثم جعلنا الكناية راجعة إلي الإنسان الذي هو ولد آدم، والإنسان شامل لآدم عليه السلام ولولده .

ثم إن تلك السُلاَلَةَ بعد أن تواردت علي أطوار الخلقة وأدوار الفطرة صارت منيًّا .

ومعنى جعل الإنسان نطفة في قوله تعالى (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) أنه خلق جوهر الإنسان أولاً طيناً، ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة في أصلاب الآباء فقذفه الصلب بالجماع إلي رحم المرأة فصار الرحم قراراً مكيناً لهذه النطفة .

والمراد بالقرار موضع القرار وهو المستقر فسماه بالمصدر ثم وصف الرحم بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر، أو لمكانتها في نفسها لأمها تمكنت من حيث هي وأحرزت .

ثم خلق سبحانه النطفة علقة فقال (ثم خلقنا النطفة علقة) أي حولنا النطفة عن صفاتها إلي صفات العلقة وهي الدم الجامد، فخلق بعد ذلك العلقة مضغة فقال (فخلقنا العلقة مضغة) أي جعلنا ذلك الدم الجامد مضغة أي قطعة لحم كأنها مقدار ما يمضغ كالغرفة وهي مقدار ما يغترف، وسمى التحويل خلقاً لأنه سبحانه يُفْنِى بعض أعراضها ويخلق أعراضا غيرها فسمى خلق الأعراض خلقاً وكأنه . سبحانه وتعالى . يخلق فيها أجزاء زائدة، ثم صير المضغة عظاماً فقال : (فخلقنا المضغة عظاماً)، ثم كسا العظام لحماً فقال (فكسونا العظام لحماً) ثم قال . سبحانه . (ثم أنشأناه خلقاً آخر) أي خلقا مبايناً للخلق الأول حيث جعله حيواناً وكان جماداً، وناطقاً وكان أبكم ..... إلخ .

« هذه الحقائق العلمية التي تقع من علم الأجنة في الصميم والتي لم تعرف قواعدها الأولية إلا في نهايات القرن الثامن عشر الميلادي واستغرقت أكثر من قرنين من الزمن حتى تستقر في وجدان علماء الأجنة، تحدث عنها خاتم الأنبياء والمرسلين (ﷺ) بهذه الدقة العلمية والإحاطة الشمولية منذ مطلع القرن السابع الميلادي، أي قبل أن يصل إليها العلم المكتسب بأكثر من عشرة قرون كاملة .....!!!».[2]

---

(٢) انظر مفاتيح الغيب جـ ١١ ص (٣٥٣) .

(٣) انظر الإعجاز العلمي في السنة النبوية د / زغلول النجار ص(١٨٢ ، ١٨٣) . نهضة مصر .

الخاتمة

بعد هذا العرض لبلاغة تلك النصوص الشريفة من كلام سيد البشر . صلى الله عليه وسلم . أقول : انظر إلى القاعدة التى أرساها الحديث الأول (إنما الأعمال بالنيات) وانطلقت منها بقية المعنى، وهو قول صريح قاطع في أنه لا يصح عمل من الأعمال الشرعية إلا إذا كان مصحوبا بالنية، وكيف كانت لغة الحديث حاسمة في هذا الشأن ؟ فجاءت في أسلوب قصر ب(إنما) مع اسمية الجملة، لأن النبي بصدد بناء دين وتأسيس عقيدة، ثم أكد هذا المعنى بقوله (وإنما لكل امرئ ما نوى) مصاغا في أسلوب قصر أيضا، فصارت الجملتان كأنهما جملة واحدة هى الأساس والأم في الحديث، واختيار (إنما) أداة للقصر هنا له دلالته، فهى لا تأتى إلا حين يراد تصحيح معتقد أو ظن يذهب إلى نقيض المفهوم منها، وكذلك تدخل على المعانى المأنوسة، أو هكذا ينبغي أن تكون.

وصياغة الجملتين التاليتين (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ....) و(ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها .....) في أسلوب شرط وجزاء، والأصل اختلاف كلتيهما عن الأخرى في مضمونها ومعناها، ووقوع الفاء في جواب الشرط وربطها للكلام وجعلها له مترتبا بعضه على بعض .....الخ

وهكذا نجد النص الشريف يتسلسل ويتتابع وينمو ويتفرع من أصل، فالأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى، ثم أشار إلى سبيلي العمل : سبيل الله، وسبيل الدنيا والمتعة .

وفي الحديث الثاني رأينا كيف كان يعلم النبي أصحابه عن طريق الوحي وكيف تسلسل الحديث وتتابع، وارتقى بالمعاني في لغة غاية في البلاغة دالة على المراد مصورة للحدث ناقلة له كأنه حي مشاهد الآن .

وإذا قارنا هذا الحديث بحديث (بني الإسلام على خمس .....) نجد أن النبي هناك قال(بني الإسلام على خمس شهادة أن لا اله إلا الله .... الخ) فذكر الشهادة وبقية الأركان بالإسمية، أما في هذا الحديث فذكرها بالفعلية فقال (أن تشهد .....الخ) لأن هناك يتحدث عن أركان ثابتة مستقرة لبناء شامخ فناسب هذا المعنى الاسمية التى تفيد الثبوت والاستمرار، أما هنا فانه يتحدث عن دخول في هذا البناء الشامخ المستقر، وهذا يقتضي الحدوث والتجدد، فناسبه التعبير بالجملة الفعلية التى فعلها مضارع الدالة على التجدد والحدوث .

وفي الحديث الثالث بيان لخلق الإنسان وتطوره ونموه في أسلوب بليغ مستهلا بالتوكيد (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه .....الخ) ودلالته على ضعف الإنسان، وأنه لا يملك من أمره شيئا، فقيل (يجمع) وأنه محفوظ بحفظ الله له إذا قدر له الخلق.....إلى آخر ما جاء في الحديث من بلاغة وبيان راق .

أهم المصادر والمراجع

وهي بعد القرآن الكريم :

١. إحياء علوم الدين . الإمام أبو حامد الغزالي . دار الريان للتراث . بدون
٢. الإعجاز العلمي في السنة النبوية . د/ زغلول النجار . نهضة مصر . بدون .
٣. بستان العارفين . الإمام النبوي . بدون .
٤. تفسير ابن كثير . للإمام ابن كثير . مكتبة جمهورية مصر العربية . بدون .
٥. خصائص التراكيب . د/ محمد محمد أبو موسى . مكتبة وهبة .١٤٠٠ هـ . ١٩٨٠ م .
٦. دلائل الإعجاز . الإمام عبد القاهر الجرجاني . تعليق الشيخ محمود شاكر . مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٤ م .
٧. دلالات التراكيب د/ محمد محمد أبو موسى . مكتبة وهبة ١٤٠٨هـ . ١٩٨٧م
٨. رياض الصالحين . الإمام النووي . تحقيق الشيخ طه أبو طالب شاهين . مكتبة أسامة الإسلامية.
٩. رصف المباني في شرح حروف المعاني . المالقي . تحقيق د/ أحمد الخراط . دار القلم بدمشق .
١٠. سيرة عمر بن الخطاب . أحمد التاجي . مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٤٠٤هـ . ١٩٨٤م
١١. شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك . تحقيق الشيخ/ محي الدين عبد الحميد . دار الفكر .
١٢. شرح البيجورى علي الجوهرة . الشيخ إبراهيم البيجورى . طبعة خاصة بالمعاهد الأزهرية .
١٣. كنوز من السنة . د / عبد الواحد خميس مطبعة الحسين الإسلامية . ط أولى . ١٤١٣ . ١٩٩٢.
١٤. لسان العرب . ابن منظور . دار المعارف .
١٥ . الهدى النبوي . د/ موسى شاهين لاشين ١٣٩٦ . ١٩٧٦م
١٦ . مفاتيح الغيب . الرازي . دار الغد العربي .
١٧ . المعجم الوجيز . مجمع اللغة العربية .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	
حديث (إنما الأعمال بالنيات)	
نبذة عن الراوي	
تأمل أسلوب الحديث وطريقه دلالته على المعنى	
جملة (سمعت رسول الله) ودلالتها	
القاعدة التي أرساها الحديث وكيفية صياغتها	
جملة (إنما لكل امرئ ما نوى) مؤكدة أو مؤسسة.	
دلالة (إنما) في الحديث	
صياغة جملتي(فمن كانت هجرته إلى الله ..... ومن كانت هجرته لدنيا.....)،	
حديث (الإسلام والإيمان والإحسان)	
نداء النبي باسمه .	
بدء الحديث بقول أمير المؤمنين عمر (بينما نحن جلوس) ودلالة (بينما)	
التعبير بالجلوس بدلاً من (القعود)	
الترابط الصوتي بتكرار السين في كلمتي (جلوس ورسول الله) وعلاقته بالمعنى	
دلالة المجاز في قوله (إذ طلع علينا رجل) .	
ترك العطف بين الصفات ودلالة الطباق فيها .	
دلالة رواية (لا يُرى) ببناء الفعل للمفعول .	
معنى (حتى) و(إلى) في قوله (حتى جلس إلى النبي)	
هيئة جلوس الرجل ودلالتها .	
التوسط بين الكمالين في جمل الحديث	
دلالة الأمر في قول جبريل (أخبرني) وسبقه بالنداء .	
دلالة ترتيب هذه الرواية للإسلام والإيمان والإحسان	
أعاد ذكر الإسلام وهو يجيب	
تقديم الشهادتين على بقية الأركان والإخبار عنها بالفعلية	
دلالة التعبير بالإقامة مع الصلاة .	
بناء عبارة (تؤتي الزكاة) على الإيجاز .	
فرق بين التعبير بالإقامة مع الصلاة، وبالإتيان مع الزكاة	
تقديم الجار والمجرور في جملة (إن استطعت إليه سبيلاً)	
تقييد الحج بالاستطاعة دون بقية الأركان	
جملة الشرط مقترنة بإن والفعل الماضي .	
داعية العجب في قوله (فعجبنا له)	

جملة (قال) وعلاقتها بما قبلها .	
جملة (يسأله) وعلاقتها بجملة (فعجبنا)	
الفاء فى جملة (فعجبنا) .	
معنى (عن) فى (أخبرنى عن الإسلام .....عن الإيمان .... عن الإسلام)	
إعادة ذكر الإيمان بصيغة الفعل وأعادته مع القدر .	
صياغة عبارة (أن تعبد الله كأنك تراه..... إلخ) .	
تسمية يوم القيامة بالساعة فى الحديث والقرآن الكريم .	
لماذا لم يسأل جبريل النبى . عليهما السلام . عن أمارات الساعة	
دلالة جملة (أن تلد الأمة ربتها) وجملة (أن ترى الحفاة..... إلخ) .	
الخطاب فى (ترى) .	
دلالة السؤال فى جملة (أتدرى من السائل ؟) .	
جملة (الله ورسوله أعلم) مبنية على حذف المسند ودلالة ذلك .	
الفاء فى جملة (فإنه جبريل ..... إلخ) .	
إسناد التعليم إلى جبريل فى قوله (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) .	
حديث (خلق الإنسان) .	
راوى الحديث عبد الله بن مسعود .	
بدء الحديث بقول الراوى (حدثنا .....) .	
جملة (وهو الصادق المصدوق) وبلاغتها .	
لفظة (أحدكم) ودلالتها، و(يجمع)ودلالتها	
المجاز فى قوله (فى بطن أمه) ودلالة لفظتى (نطفة) و(ثم)	
تسمية العلقة بالعلقة، ودلالة بناء الفعل للمفعول فى (يرسل إليه الملك)	
إسناد الفعل (ينفخ) إلى ضمير الملك	
تسمية القضايا بالكلمات فى قوله (ويؤمر بأربع كلمات ....)	
مناقشة زيادة العمر ونقصه	
العدول عن ذكر المصدر إلى الصفة فى قوله (شقى أو سعيد) وتقديم الشقاوة	
الفاء فى قوله (فوالذى لا إله غيره)ودلالة القسم بهذه الصورة .	
تأكيد جملة جواب القسم وتعدية الفعل (يعمل) بالباء .	
التعبير بـ (على) فى قوله (فيسبق عليه الكتاب) .	
تسمية السلالة بهذا الاسم .	
الحقائق العلمية التى تضمنها الحديث .	
الخاتمة	
أهم المصادر والمراجع	